



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

مقرر أصول الخطابة

١٥١

إعداد :

د/ نعيمة بنت عبد العزيز حجازي

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

الفصل الثاني

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م



توصيف المادة

اسم المادة: أصول الخطابة (١٥١)

عدد الوحدات التدريسية: ساعتان معتمدتان.

أهداف المادة:

- ١- تعريف الطالبة بالخطابة وأثرها في الدعوة.
- ٢- تعريف الطالبة بكيفية اختيار الموضوع الخطابي من حيث هدف الموضوع وأسلوب عرضه.
- ٣- تدريب الطالبة على كيفية إعداد الموضوع الخطابي.
- ٤- تعريف الطالبة بالمؤثرات البيانية والصوتية والحركية في الإلقاء لتتمكن من الإقناع والاستمالة للحاضرات نحو الأمر المطلوب.
- ٥- تدريب الطالبة على إلقاء الموضوع.
- ٦- تدريب الطالبة على طريقة تقييم إلقاء زميلات للوصول به إلى أفضل صورة.
- ٧- تعريف الطالبة بما يجب أن يتوفر في الخطيب من حيث الثقافة والصفات الخلقية والعقلية، واستعماله وسائل التأثير المختلفة لإيصال كلمة الحق إلى الآخرين وإقناعهم بها.
- ٨- إطلاع الطالبة على نماذج من الخطب المؤثرة مع بيان مواقع التأثير فيها.

مفردات المنهج:

أولاً: الخطابة:

- تعريفها لغة واصطلاحاً ونشأتها وخصائصها.
- أهميتها واتجاهاتها.
- أنواعها: وعظية، سياسية، عسكرية، اجتماعية.
- ثانياً: تكوين الخطبة وإعداد الخطيب:
- تكوين الخطبة وإعدادها.
- إعداد الخطيب.

ثالثاً: ثقافة الخطيب وصفاته:

١. ثقافة الخطيب.

الكتاب والسنة – الأحكام الفقهية – دراسة اللغة والعلوم الإنسانية.

٢. الصفات الأخلاقية والعقلية للخطيب:

الصفات الفطرية – الصفات الأخلاقية المكتسبة – الصفات البيانية (طلاقة اللسان، الثروة الأدبية، الفصاحة والشعر، الصوت والصفات الشكلية).

رابعاً: نماذج من الخطب المؤثرة مع بيان مواقع التأثير فيها:

– خطبة الرسول ﷺ في الأنصار بعد توزيع الغنائم يوم حنين.

– خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع.

– خطبة أبي بكر رضي الله عنه، خطبة عمر رضي الله عنه، خطبة قس بن ساعدة.

المراجع:

– قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدين. د. أحمد غلوش.

– الخطابة وإعداد الخطيب، د. توفيق الواعي.

– فن الإلقاء الرائع، د. طارق السويدان.

– الخطابة الإسلامية. عبد العاطي عبد المقصود.

– تلخيص الخطابة . لابن رشد القرطبي.

– منهج في إعداد خطبة الجمعة. د. صالح بن حميد.

– تدريب الدعاة على الأساليب البيانية . د. عبد الرب آل نواب.

– أساليب الدعوة إلى الله في القرآن الكريم. أبو المجد سيد نوفل.

– موضوعات خطبة الجمعة . عبد الرحمن بن معلا.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه
أجمعين

وبعد:

فإن الخطابة فن من فنون الأدب الرفيع ذات التأثير النفسي والتوجيه الاجتماعي الأصيل، ولأهميتها
كانت صلتها بسائر العلوم واضحة.

والخطبة الدينية في الإسلام تعد أصلاً للإعلام الديني، وتضع أسساً لفن الاتصال بالجمهير بما تحتويه
من العناصر ذات التأثير النفسي، والإقناع العقلي، والجذب الوجداني، والدعاة إلى الله تعالى يحملون رسالة
سامية تهدف إلى صناعة الإنسان بمنهج الله، وتوجيهه نحو خالقه، وإنقاذه من التردّي في هاوية الغي
والضلال والارتقاء به في عالم الخير والنور والجمال... وهذا الأمر ليس سهلاً؛ لأن الإنسان يقاد من
داخله، وأتى لعمل عادي أن يقوم بتغيير الإنسان من باطنه ! وبخاصة في عالمنا المعاصر الذي تعددت فيه
ألوان الهوى، وكثرت خلاله مذاهب الهدم بأساليبها الخبيثة، وإمكاناتها الكثيرة.

إن الدعوة إلى الله تعالى هي الجهاد في الحقيقة، والدعاة هم المرابطون المسلمون وعليهم أن يدركوا
دورهم، ويفقهوا رسالتهم ويعلموا أنهم في موضع الرجال الذين وصفهم الله تعالى: ﴿رِجَالٌ لَا لُئْلِيهِمْ
تَيْجَرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾
النور: ٣٧

والدعاة المخلصون يشعرون بمسئوليتهم، ويستعدون لها. فإذا تكلموا حسنوا أقوالهم، وإذا عملوا أتقنوا
أفعالهم، وإذا تخلقوا تمسكوا بما جاء من عند الله تعالى ولا ييغون في مقابل ذلك شيئاً من عرض الدنيا
الزائل، ويدخرون جهودهم ليوم تشخص فيه القلوب والأبصار لله، ترحو رحمةً، وتبغي رضاً، وتلتمس قريباً
من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً.

وَمَتَابَعْتَنَا لأعمال الدعاة في العصر الحديث نلاحظ حاجتهم الشديدة لخطة علمية ترسم لهم الطريق
وتحدد الغاية، وتسهل أمامهم الرسالة، وليس من المستحسن مطلقاً أن تقوم الدعوة على الشدة والقسوة أو
بالسب واللعن، أو بالنفور والضيق، بل يلزم لها أن تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالحسنى كما
قامت أولاً وكما بلغها رسول الله ﷺ للناس.

إن الدعوة إلى الله تعالى طرف في الصراع المذهبي الحديث وعليهم أن يستعدوا بكل ما يستطيعون، ولا

يتم لهم الاستعداد إلا بالمعرفة الشاملة، والوقوف على أسس العلوم المختلفة، والاستفادة منها في القيام بدعوة الناس لله رب العالمين.

والخطباء في حقيقة أمرهم دعاة وعليهم أن يعرفوا أن علو الكعب في الخلق، والطهر القلبي والنفسي، ورقة الذوق في الكلمة والنظرة، وخفض الصوت وإشراق الوجه بالابتسام لغة عالمية تفتح بها الصدور المغلقة، والنفوس الحرجة؛ ذلك لأن الخلق الزكي لغة إنسانية عالمية تعجب وتقنع.

فهذا الكتاب عن الخطابة الإسلامية وتعريفها، وعناصرها، وطريقة الإقناع الخطابي، والصفات التي يجب أن يتصف بها الخطيب، وأنواع خطب الوعظ الديني، بالإضافة إلى نماذج مختلفة من الخطب المؤثرة. وهذا الكتاب لا يصنع خطيباً ولكنه مرشد لمن عنده استعداد للخطابة، ينهل من الخطب فصاحة اللفظ وبلاغة العبارة وعلى الله قصد السبيل..

ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق كل مخلص لدينه للحق والخير.



تمهيد

تعريف علم الخطابة

تعريف الخطابة:

اللسان أداة القول كما أن القلم أداة الكتابة، ولا يعد القول خطابة إلا إذا أحاطته بمجموعة من الخصائص تجعله مسمى بها متميزاً عن سواها من فنون القول العديدة.

الخطابة في اللغة: الخطابة مصدر، فعله خَطَبَ يَخْطُبُ، من باب "ضرب" يتعدى بنفسه وبحرف الجر، جاء في المصباح أنه يقال في الموعظة: خطب القوم، وخطب عليهم خُطبة - بالضم - وخطابة، وجمعها خُطَبٌ، مثل: غرفة وغرف، والخطبة: اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، وخطيب القوم هو المتكلم عنهم، وجمعه خطباء. وأما خُطبة - بالكسر - فهي طلب المرأة للزواج، والرجل خاطب. وخطاب مبالغة فيه^(١)، وعلى هذا فإن "خطب" يشتق منه خُطبة وخطبة، وفرق بينهما^(٢).

فالخطابة إذاً معناها - لغوياً - هي الكلام المنشور المسجوع ونحوه.

الخطابة في الاصطلاح:

يقول بعض المحدثين: إن الخطابة فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته^(٣). ويقول آخر: إن الخطابة خطابٌ يُلقى من فردٍ على جماعةٍ بقصد التأثير في نفوسهم وإقناعهم بأمر من الأمور^(٤).

هذا عن الخطابة، فماذا عن علم الخطابة؟

لاحظ المتقدمون والمتأخرون أن للخطابة علماً، له أصوله وقواعده من أخذ بها عُدَّ خطيباً.

فعلم الخطابة: هو علمٌ يُقْتَدَرُ بتطبيق قواعده على مشافهة المستمعين بفنون القول المختلفة لمحاولة التأثير في نفوسهم. وحملهم على ما يراد منهم بترغيبهم وإقناعهم.

(١) المصباح المنير ١/٨٠ مادة خطب.

(٢) حاشية الجمل ٣/٢٨٤.

(٣) فن الخطابة ص ٩.

(٤) البلاغة والأدب ٢/٩١.

فقولنا: " علم له قواعد " عام يشمل سائر العلوم.

وقولنا: " يقتدر به على مشافهة المستمعين " يخرج به سائر العلوم التي لا تعتمد على المشافهة ، كالكتابة والشعر المدون، ويخرج به المناظرة^(١)، والمجادلة^(٢)، والمكابرة^(٣)، والمناقشة^(٤)، والمحادثة^(٥)، والدرس^(٦)؛ لأن كل هذه الأمور تستلزم حواراً بين الجميع، فملتكلم أنا يستمع في آنٍ آخر وهكذا، بينما الخطابة مشافهة المستمعين، أي: أن الخطيب هو الذي يتكلم، بينما الجميع يستمعون.

وقولنا: " لمحاولة التأثير... إلخ " يخرج به المحاضرة بأنواعها. والبرهان المنطقي المجرد؛ لأن كلاً منهما يقصد الإقناع فقط، ولا يتجه إلا إلى العقل، بينما ترمي الخطابة إلى التأثير في النفس، وحمل المستمع على الإذعان والتسليم بالإقناع والإستمالة معاً.

وعلم الخطابة ينير لدارسه الطريق ولا يحمله على السلوك، هو يعطي المصباح، ولا يضمن لحامله أن يرى لجواز أن يعينه رمداً، وهو في هذا كسائر العلوم فليس كلُّ متعلمٍ للنحو ينطق بالفصحى، ومتعلم المنطق قد لا يعصم ذهنه عن الخطأ، وهكذا سائر العلوم النظرية، تعطي القانون فقط ولا يتمكن من التطبيق إلا من راض نفسه على قانون العلم وقواعده، يقول الجاحظ^(٧): «رأس الخطابة الطبع، وعمودها الدربة، وجناحها رواية الكلام، وحليها الإعراب، وبهاؤها تخير الألفاظ».

أغراض الخطابة: الدعوة إلى الصلاح والإصلاح، والإستمسك بأمر الشريعة، وإقامة الحق والعدل ، ونشر الفضائل، وتسكين الفتن، وفض المشكلات، وتهذئة النفوس الثائرة، وإثارة النفوس الفاترة، ترفع الحق، وتخفف الباطل، هي صوت المظلومين، وواعظ الظالمين، ولسان الهداية، ولقد نادى موسى عليه السلام ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً مِن لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴾ طه: ٢٥ - ٢٨ فجاءه الجواب الرباني: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى ﴾ طه: ٣٦ .

(١) المناظرة : النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب.

(٢) المجادلة : الاحتجاج لتصويب راي ورد ما يخالفه .

(٣) المكابرة : الاحتجاج والمنازعة لا لإظهار الصواب ولا لإلزام الخصم .

(٤) هي نوع من المناظرة إلا أنها تفترق عنها في أن المناظرة تكون في موضوع واحد بينما المناقشة تكون في عدة موضوعات ولها مدير ومسجل وملاحظ.

(٥) تكون بين اثنين لقصد معرفة خبر أو أخبار .

(٦) الدرس : توعية دينية تدور حول آية أو حديث أو موضوع ، ويحتوي على الأنواع السابقة كلها لن المشتركين في يسألون ويجادلون.

(٧) البيان والتبيين (١/٥٩).

نشأة الخطابة وتطورها

نشأت الخطابة مختلطة مع سائر العلوم، معتمدة على الفطرة، وكان ينميها لدى الإنسان حاجته إليها، بسبب انتشار الأمية، وبعدها البلدان، وصعوبة المواصلات، وبعد ذلك أخذت تنفصل شيئاً فشيئاً حتى نالت استقلالها بصورة تامة، وخاصة في العصر الحديث إذ تُدرّس في الجامعات مستقلة كعلم متميز بموضوعه وهدفه، وقد أخذ أشكالاً عدة، وتسمّى بأسماء مختلفة من فن الإعلام، وعلم الدعاية، وفن التأثير، وفن الإلقاء، إلى الغزو الثقافي، والحرب النفسية.

ويرى بعض الباحثين أن الخطابة وليدة الفلسفة اليونانية القديمة، حيث ترعرعت وازدهرت إبان ظهور تلك الفلسفات ثم تبلورت قواعدها وتشكلت أسسها في غضون انبثاق الحضارة اليونانية حتى غدت علوماً محددة المعالم واضحة القسّمات، وهذا اتجاه نراه كثيراً في كتابات المؤرخين المعاصرين، فهذا رأي ليس يخلو من نظر، لأن ازدهار الخطابة في العصر اليوناني لا يعني بالضرورة أنها يونانية المنشأ أو فلسفية النزعة.

والذي تسكن إليه النفس أن الخطابة قديمة قدم البشرية، عرفت البشرية قبل الحضارة اليونانية بآلاف السنين، فمنذ أن خلق الله تعالى أبا البشر آدم عليه السلام علمه الأسماء كلها، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ البقرة: ٣١ وخاطبه تبارك وتعالى وحاوّه وأمره ونهاه كما في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ البقرة: ٣٥ وألمه الله تعالى كلمات ليعرف الإنابة إلى الله والتوبة من الذنوب قال تعالى: ﴿ فَانقَلَبْ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ البقرة: ٣٧ ثم تتابعت هذه الأنماط التعبيرية الراقية في كلام آدم على قول من قال بأنه كان نبياً مرسلأ وأن رسالته كانت إلى أولاده يأمرهم بأمر الله وينهاهم عن محارم الله، ويعظهم ويصبرهم. وتتابع من بعد آدم تلك الصور البيانية في رسالات الرسل الذين بعثهم الله عليه السلام من بعده على تباين عصورهم واختلاف ألسنتهم وألوانهم كنوح وهود وصالح وشعيب وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً الصلاة والتسليم.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ إبراهيم: ٤ فقوله {إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ} أي بلغتهم ليعينوا لهم أمر دينهم.

فالخطابة قديمة قدم الرسالات السماوية وكذلك الجدل وسائر الأشكال التعبيرية الأخرى، لأن الخطابة من خصائص الإنسانية، ولكل قوم نمط خطابي به يتفاهمون ويتخاطبون، والتاريخ يحدّثنا عن مدارس في

الخطابة برزت وازدهرت عند قدماء الفلاسفة في الأمم الغابرة ، ودول الحضارة المتقدمة .
 ففي مصر القديمة: ظهرت الخطابة بشكل تلقائي بين الجماهير، وكانت خطبهم توجه إلى الآلهة،
 والكهنة، والأمراء، وكان حكماء الدولة وكهاتها يوجهون نصائحهم إلى الشعب على شكل مواعظ.
 وفي اليونان: وُجدت الفلسفة، وكثر الجدل، وقد أدى ذلك إلى اهتمام اليونانيين بتعلم فنون القول
 وطريقة الخطابة، وأسلوب التأثير المؤدي إلى استمالة الجماهير نحو الفكر المراد حملهم عليه، وقد ساعدت
 فطرة اليونان الخطابية على الامتياز في الخطابة بعد تعلم أصولها.
 وقد أصبحت الخطابة سلعة رائجة في بلاد اليونان القديمة وخاصة بعد التأهيل المدرسي لها، حيث نجد
 الخطباء ينشئون خطباً، ويبيعونها لمن يقوم بخطبتها، يخطبونها لهم لقاء أجر يأخذونه.
 وهكذا برز الخطباء في بلاد اليونان مما دفع الكثير إلى تعلم أصولها، وإتقان أدائها، طمعاً في المزايا التي تعود
 عليهم من ورائها.

وجاء "سقراط" الذي درس الخطابة وقوانين الجدل، ونادي بدراسة النفس الإنسانية.
 ثم جاء "أفلاطون" فسار على نمط أستاذه "سقراط" ونادى بنظريته في المثل ووضع قوانين جمهوريته،
 وفيها برز دور الخطباء في نشر الحق والخير، وغرس الأخلاق الفاضلة.
 ثم جاء "أرسطو" الذي عُرف بالمعلم الأول، ووضع الأسس لعلم كثيرة كعلم المنطق بما فيه من برهان
 وجدل.

أخرج أرسطو أول كتاب مدون في الخطابة حيث عرّفها فيه كعلم، وبيّن أقسامها، وفصّل في أسلوبها
 وحدّد جزئياتها، وتكلم عن الخطيب ونبرته، وأشار إلى بعض الموضوعات التي تبرزها الخطابة، ويعد كتاب
 أرسطو أول كتاب وضع في علم الخطابة، وقد تُرجم إلى العربية أكثر من مرة، وشرحه ملخصاً ابن رشد.
 وأما بلاد العرب فقد هيأتهم ظروفهم ليكونوا خطباء مبرزين، ذلك أن تباعد الديار، ووجود التفرق،
 والإحساس بالسيادة عند كل قبيلة، مع إيمانهم بشعور قومي عام أساسه اللغة والدين والجنس، كل هذا
 جعل العرب يهتمون بالخطابة، حيث كانوا يقدمون الخطيب إلى جيرانهم، يُجمع صوتهم، ويفاخر بهم، وفي
 الحروب يهجو ويدافع، وفي المناسبات يهنيء ويحمل البشري.

ولقد اتجه العرب إلى الخطابة بفطرتهم، ومن غير تأثر بسواهم من الأمم الأخرى، وكان استعدادهم
 الفطري واضحاً.

وقد تميزت الخطابة العربية بالقصر، والارتجال، والسجع، واشتمالها على الحكمة، وتُعدها عن الجدل

والفلسفة، ودورانها غالباً حول الفخر والمنافرة^(١) والمدح والتهنئة والتأمل، وكانت تخلو أحياناً من التسلسل والترتيب.

وظل العرب في الجاهلية يعتمدون على الفطرة، فلم يؤسسوا داراً لتعليم الخطابة أو يعينوا أستاذاً لها، وإنما اكتفوا بدار الندوة والأسواق، لأنها منابر القول، وفيها يتبارى الخطباء، ويقدمون من واقعهم مدرسة تطبيقية ونظرية في نفس الوقت.

واستمر العرب هكذا حتى جاءهم الإسلام وآمنوا به ديناً قوياً، ومع إيمانهم هذا علموا أن عليهم واجباً يجب تبليغه إلى العالم كله، فقاموا بالواجب بكل ما أمكنهم من وسائل، وهنا ساعدتهم موهبتهم الخطابية على أداء هذا الواجب.

وقد ازدهرت الخطابة لديهم خاصة بعد استقامتهم مع القرآن الكريم والسنة النبوية وقد استفادوا كثيراً بهما وظهرت هذه الفوائد في أساليب الخطابة ومعانيها وأغراضها.

أما استفادتهم في الأساليب فقد تهابت ألفاظهم، وترقت أساليبهم، وهجروا كثيراً من الألفاظ المعيبة، واستبدلوها بألفاظ القرآن الكريم والسنة النبوية، وعدلوا عن الأساليب القديمة إلى الأساليب السهلة الممتنعة، كما أدى ذلك إلى توسيع معاني بعض الألفاظ، واشتقاق بعضها من بعض، وقد كثرت محاكاة الخطباء لعبارات القرآن الكريم والسنة النبوية، واستشهدوا بهما، واقتبسوا من نصوصهما، وامتلأوا كثيراً من بيانهما.

وأما استفادتهم في المعاني، فلقد شاعت الدقة والعمق والسمو في معاني الخطابة، واستعملوا المعاني الإسلامية بدلاً من المعاني القديمة، والتزموا الصدق والأخلاق في خطبهم وكانوا دعاة الخير دائماً.

وأما استفادتهم في الأغراض فقد هجروا الأغراض الجاهلية كالمنافرة والهجاء والعصبية، ودعوا إلى المحبة والعفة والمساواة، ودارت خطبهم على الأغراض النبيلة كالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والحث على الإيمان، والجهاد في سبيل الله والعفة، وتحصين الجوارح والأرواح.

وقد استمر العرب ينمون خطبهم ملتزمين بروح الدين، حتى جاءت الدولة الأموية، وظهرت العصبية من جديد، ووجدت الفرق من شيعة وخوارج ومرجئة وأمويين، واستتبع ذلك كثرة الفتن في العراق، والأمصار الأخرى، فأدى كل هذا إلى اهتمام العرب بفن الجدل، حيث حاول كل فريق أن ينتصر لرأيه وجماعته، مما أدى إلى نمو الخطابة، وتنوعها وازدهارها، مع عدم خروجها عن صورتها الإسلامية؛ لأن كل

(١) المُنَافَرَة: المحاكمة إلى من يُقضى في خصومةٍ أو مُفَاخَرَة. العين للخليل بن أحمد (٢٦٨/٨).

خطيب كان يعتز بنسبته الإسلامية، وقوميته الدينية.

وفي العصر العباسي: كثرت العلوم الفلسفية في بلاد العرب بعد ترجمة العلوم إلى العربية ووجد فن الكتابة وفن المقال، مما أدى إلى ركود الخطابة وضعفها، إلا أن الخطابة الدينية استمرت في قوتها، وأخذت دورها في الوعظ والارشاد، وكان القراء يقومون بالقراءة في المساجد، ويخطبون الناس في سكون ووقار.



أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية واجبة التبليغ، وهي ليست كائناً متحركاً بذاته حتى تصل وحدها إلى الناس، ولكنها مفهوم معنوي يطبقه مخلوق مكلف بعد أن يدركه، ويفهمه ويحيط به، ومن هنا كانت ضرورة الدعوة المبلغين لتبليغ رسالة الله للعالمين، وبدون الدعوة يكون للعالم عذر عند الله ﷻ فيقولون وهم يحاسبون:

﴿ **وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نُنزِلَ وَنَخْزِيكَ** طه: ١٣٤ ﴾

ولقد بلغ الإسلام - أولاً - رسول الله ﷺ تنفيذاً لواجبه الذي كلف به في ﴿ **مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ** المائدة: ٩٩ ومن البدهيات المسلمة أن النبي ﷺ بطاقته البشرية لا يمكنه أن يبلغ وحده جميع الناس، ولذلك سن سنة مشروعة، على الخلق من بعده أن يتأسوا بها، وهي أن يختار من أصحابه من يصلح للتبليغ، ويرسله مبعوثاً من قبله إلى الناس، يعلم القرآن، ويقضي بحكم الله، ويهدي الحائر إلى منهج الوحي في الحياة.

وهذه السنة توجيه للمسلمين في الدعوة الحقيقية بعد رسول الله ﷺ لتبليغ الدعوة على الوجه الأمثل، وواجب على الأمة الإسلامية أن تهيء من بينها طائفةً تربيهم بالتعليم ثم تمدهم بالأسباب المادية التي تمكنهم من البلاغ والدعوة، يقول تعالى: ﴿ **وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ آل عمران: ١٠٤ ويقول ﷺ: ﴿ **فَلَوْلَا نَفَرْنَا مِنْكُمْ لَفُتِنَا بِمَا نَفَرْنَا مِنْكُمْ** ﴾ التوبة: ١٢٢

وهاتان الآيتان تشيران إلى وجوب تخصيص جماعة في التفقه، وترشدان إلى طريقة الدعوة الواجبة على الأمة، بإشعار كل فرد بهذا الواجب، لكن أداءه لا يكون إلا بجماعة خاصة خبرت مصادر الدعوة ثقافةً وفهماً، وتمرست بالوسائل المثلى في إبلاغ الدعوة.

وعلى هذا ففقه الدعوة لا يقف عند الفهم في حد ذاته، بل لا بد من إبلاغه إلى الناس بعد تفقهه. ووسائل التبليغ كثيرة، وقد أضفى عليها العصر الحديث وسائل أكثر، حيث أصبح الكتاب والمسرح، والمذياع والتلفاز والهاتف - الثابت والمحمول - والشبكة العنكبوتية وسائل للبلاغ.

ووسط هذه الكثرة حافظت الخطابة على أهميتها القصوى في البلاغ، وسوف يستمر لها هذا الدور إلى يوم أن يلقي الله جميع الناس.

إن الإنسان يسيّره وجدانه أكثر مما يسيّره فكره، والفرد مع الآخرين ينسى خواصه الفكرية. ومواهبه

الأصيلة، ويندرج في وجدان الجماعة، وليس هناك ما هو أقدر من الخطبة في استمالة الوجدان، وتهييج الشعور وتحقيق الإنفعال المؤدي إلى الإندفاع والعمل.

والفرد الذي يسيره العقل وحده، لا تغفله الخطابة الدينية، لأنها قائمة على الحق بعيدة عن التغرير، تستعمل الأدلة البرهانية، والأدلة الظنية تؤكدتها حتى تصل إلى أعلى درجات اليقين.

إن ارتباط الخطابة بالعاطفة الدينية دافع إلى الاهتمام والمتابعة، وأيضاً فإن وجود الأمية وكثرة الأعمال وضيق الوقت دوافع رئيسية إلى ضرورة الخطابة، لأنها تخاطب الأمي على قدر طاقته، تقرب له البعيد، وتذلل أمامه الصعب، وتوجز الزمن لمن لا يجده من أصحاب الأعمال، وتركز المعاني الكثيرة في كلمات قليلة وتقدمها لمن تزحمة مشاغل الحياة.

ولأهمية الخطابة للدعوة كان لها الدور الرئيسي في صدر الإسلام، حيث خطب النبي ﷺ في يوم الجهر بالدعوة، وكان يخطب في الوفود القادمة وفي الجيوش الذاهبة، وكان ﷺ يكلف القادر على الخطابة أن يقوم بواجبه تجاه إخوانه وتجاه غيرهم، يدعوهم إلى الخير ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر.

إن أول خطبة خطبها النبي ﷺ كانت بصفته رائداً حيث قال ﷺ: « إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبتُ الناسَ جميعاً ما كذبتكم، ولو غررتُ الناسَ جميعاً ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتجزون بالإحسان إحساناً وبالشر شراً، وإنها للجنة أبدأً أو النار أبدأً، وإنكم لأول من أنذر بين يدي عذاب شديد»^(١) وواجب إذاً أن يتبوأ الخطيب مكان الريادة دائماً.

إن من ينظر في هذه الخطبة، وفي غيرها كخطبة الوداع مثلاً يرى الجوانب الكثيرة والشمول الواضح للخطابة الدينية، مما يجعلنا نرى ضرورة شمولها للوعظ وغيره.

وعلى الجملة فإن الخطابة ضرورية للدعوة، وما أجدنا أن نقوم بها ونعد لها رجالاً - ونساءً - قادرين على أدائها، وأن نخلص النية لله ﷻ، ونقصد نشر الخير لأمتنا وللإنسانية كلها.

لقد تغير الزمان ويبدو أنه أثر في نفسية الناس، فبُعدوا عن تعليم الدين وشرائعه لدرجة أن أعمالهم وسلوكهم غريبة كل الغرابة عن العهد الناصع للإسلام.

وللخطابة دورها الهام في حركة التجديد، ويجب أن تتبوأه.

والخطيب الحكيم يستطيع بما وهبه الله ﷻ من نور الحكمة، وقاطع الحجّة، وساطع البرهان، أن يصحح

(١) فقه السيرة لابن الأثير ص ٧٧/٧٨، السيرة الحلبية ١/٤٠٥.

القلوب، وينبه العقول، ويطهر النفوس، حتى ترجع عن غيها وتعود إلى الاعتدال وتتحلّى بالفضائل والكمال. وتعيش بنور العلم وحلاوة الإيمان.

ونلخص أهمية الخطابة في الدعوة إلى الله فيما يلي :

١- الخطابة في الدعوة إلى الله واجبة؛ لأنها لازمة لتبليغ الدعوة ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، فالدعوة يلزمها صوت قوي وفكر ذكي وبيان ناصع وصوت داوٍ ، والخطابة رسول ذلك ، وحامل سلطانه.

٢- الخطابة للداعية كالمصباح، ينير الطريق ويكشف الدرب ويهدي الضال، ومما يجب التنبيه عليه، أنه ليس بالضرورة أن يهدي المصباح حامله، فقد يكون حامله أعمى لا يرى أو كسيحاً لا يستطيع الحركة، أما إذا كان بصيراً وقادراً وماهراً، فإنه يفتح مغاليق القلوب، ويضيء دياجير العقول ، وصدق الله ﷻ حين قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِبَلْسَانَ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ إبراهيم: ٤

٣- الخطابة بالنسبة للداعية سلاح يدافع به عن دعوته، يرد به كيد الكائدين وجحود الجاحدين وعنت الضالين، فكم من منافق عليم اللسان ، ومنحرف صاحب بيان ، وفاسق يحمل فكراً ، وشيطان يلوح بحجته ، فيأتي الداعية الفصيح صاحب الحجّة فيدفع الركب الضال وينسف الباطل المنتفخ ، ويرفع الحق الأبلج، والحجة المضيفة.

٤- الخطابة هي صلب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لصيانة جسد الأمة من الهدم والتحلل، كما أنها لازمة لطرد الأهواء وإزالة الشياطين، وعلاج الأمراض الدخيلة ، والبرهان الحسي شاهد على أن الأمة التي انتشر فيها خطباء الإصلاح وقادة الفكر تحيا بمقدار جهدهم وكثرتهم تأثيرهم.

٥- الخطابة وسيلة لصياغة المبادئ والقيم ، وإظهار جلالها ، ورفع شأنها ، وهي سبب لسيادة الحق ونشر الخير .

أهمية الخطابة للمرأة الداعية :

الخطابة مسألة مهمة جداً للمرأة الداعية ؛ لأنها تحقق لها فوائد جمة نذكر منها ما يلي :

أ- فوائد اجتماعية:

- ١- الحث على الأعمال التي تعود بالنفع على المستمعات في العاجل والآجل.
- ٢- التنفير من الأعمال ذات الأثر السيء على الفرد والمجتمع ، وبالتالي يمكن للداعية أن يكون لها دور بارز في الإصلاح.
- ٣- إثارة حماس النساء تجاه قضية معينة .
- ٤- إقناع المستمعات بمسألة مهمة وتحفيزهم للعمل الإيجابي بخصوصها.
- ٥- توصيل معلومات أو مفاهيم معينة للجمهور ، قال تعالى : ﴿ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴾ النساء: ٦٣ وفي الحديث عن العرياض بن سارية رضي الله عنه قال : « وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة ، وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون .»
- ٦- معالجة مواقف اجتماعية معينة : كالتكريم والاستقبال والتوديع والشكر .

ب- فوائد شخصية : نذكر منها ما يلي :

- ١- فرصة للاتصال المباشر مع النساء .
- ٢- مجال لبناء العلاقات الشخصية الايجابية - ولا سيما مع النساء اللاتي هن تأثير ومكانة في المجتمع .
- ٣- إتقان مهارة جديدة تحتاج إليها معظم المهن .
- ٤- زيادة فرص النجاح في الحياة .

خصائص الخطابة

باستقراء نماذج كثيرة من الخطب الأصيلة وبقراءة ما ذكره الباحثون في خصائص الأسلوب الخطابي يمكن تلخيص تلك الخصائص في الآتي:

١- القوة البيانية.

٢- الإقناع والاستمالة.

٣- التأثير النفسي.

ودونك إيضاح لكل خاصية بما يناسب المقام:

١- أما القوة البيانية:

فلأن الخطيب يعبر عما تستحيشه نفسه، بأبلغ عبارة وأوفاهها بعيداً عن التكلف والتنطع فهو ينطق عفو الخاطر، يمازج في أسلوبه الخطابي بين الخبر والإنشاء، ويجور أسلوبه وفق ما يراه من إقبال السامعين أو فتورهم، ويزين منطقته بالفصاحة والجزالة، قال البلاغيون: "البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة، وإلى ترتيب ورياضة، وإلى تمام الآلة وإحكام الصنعة، وإلى سهولة المخرج وقوة المنطق، وتكميل الحروف وإقامة الوزن، وأن حاجة المنطق إلى الحلاوة والطلاوة كحاجته إلى الجزالة والفخامة، وأن ذلك أكثر ما تُستمال به القلوب وتثنى به الأعناق وتُزين به المعاني" (١).

وفي كل أمة خصائص بيانية وملكات بلاغية بحسب لغاتها وثقافتها وعوائدها، وإن كانت اللغة العربية أقدر اللغات قاطبة في قوة البيان إذ تمتلك ما تفتقده اللغات الأخرى من خصائص التعبير وقوة الحجة، لذا نزل القرآن العظيم باللغة العربية، وفي التنزيل الحكيم: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥﴾، فالإبانة وقوة العارضة وتمام الإفصاح من خصائص اللسان العربي لا يضارعه في ذلك لسان آخر البتة.

٢- الإقناع والاستمالة:

يحقق الخطيب الإقناع في خطابه بالحجة العقلية طوراً، وبالتأثير العاطفي طوراً آخر، وبهما معاً طوراً ثالثاً، وبالمؤثرات الصوتية والإشارية والنفسية أيضاً، قال ابن رشد: "لا توجد قوة الإقناع إلا في الخطابة والجدل" وقال: "وليس عمل هذه الصناعة- يعني الخطابة- أن تقنع ولا بد... وقد يقنع من ليس بخطيب،

(١) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ١٤.

وان كان الأصل في الخطيب الإقناع كالبرء في الطبيب" (١).

وهذا يقتضي أن يكون الخطيب عارفاً بمجاري الكلام وأساليب الإقناع والتأثير، ولهذا الاعتبار وهو قدرة الخطيب على الإقناع والتأثير والاستمالة أطلق على البيان القوي سحراً كما في قوله ﷺ: «إن من البيان لسحراً» (٢)

ولعل من أهم ما يعين الخطيب على تحقيق الإقناع، معرفته الدقيقة الشاملة بالأساليب الخطابية، وسعة اطلاعه بعوامل التأثير في النفوس البشرية ومكامن الشعور فيها، ومواضع استحثاثها، وكثيراً ما قاد الساسة المفوهون الجماهير لا بنفوذ سلطاتهم بل بالكلمة القوية البليغة المؤثرة التي ينقاد لها الناس انقياداً ويسلمون لها الزمام وهم راضون.

والأهم من هذا كله قوة الإيمان بالله واليقين بوعدده ووعيدته، وإن للإيمان لأثراً في تحقيق الإقناع لدى الآخرين، لما يستقر في أفئدتهم من التصديق والتسليم، ثم لما يدفعهم ذلك من الاستعداد للتضحية والبذل، وما تحقق للنبي ﷺ من انقياد العرب له والإذعان لأمره والتسليم والرضا بأمر الله معه إلا لشيء استقر في قلوبهم.

٣- التأثير النفسي:

التأثير في الخطابة أمرٌ أساس، وهو أمر لا جدال فيه، ولأجل ما تتسم به الخطابة من قوة التأثير وعمقه تسمى الخطابة سحراً كما تقدم، والخطباء يتلاعبون بعواطف الناس بالتأثير الذي تحدثه الخطابة القوية البليغة حتى إن منهم من يقرب الحقائق بالمغالطة وقوة الجدل فيُري الناس الباطل حقاً، والخطأ صواباً، لذا ترى الدهماء كيف يُسيّرهم الخطباء البلغاء فيسيرون وفق إرادتهم، وينقادون صوب مقاصدهم ورغباتهم، ولو كان في ذلك العطب والمهلك!

وإلى تأثير الخطابة العميق يشير حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إنكم تختصمون إليّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار» (٣).

ويعتمد التأثير الخطابي - بعد قوة العبارة وجودة الفكرة وحلاوة المنطق - على مكانة الخطيب الاجتماعية

(١) تلخيص الخطابة ص ٢٤.

(٢) متفق عليه. رواه البخاري / باب النكاح / رقم (٥١٤٦)، ومسلم / باب الجمعة / رقم (٨٦٩).

(٣) متفق عليه. رواه البخاري / كتاب الأحكام رقم (٧١٦٩)، ومسلم / كتاب الأفضية رقم (١٧١٣).

وجاهه ومنصبه، علماً أو فضلاً أو صلاحاً أو إلفاً، أو لتفاعله أثناء الخطبة فيظهر صدقه في لهجته ونبرات صوته، وأيضاً جرأته المحمودة وقدرته على البيان البليغ الذي هو من خصائص الرجولة، وقد جاء في التنزيل الحكيم أن العجز عن الإبانة من خصائص الأنوثة التي هي محل الستر وقلة المقارعة، قال الله تعالى: ﴿ أَوْ مَنْ يُشَوُّوا فِي الْحَلِيَّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴾ الزخرف: ١٨، وهي صفة مدح في الأنثى؛ لأنها لا تساجل الرجال لكنها قدح في الرجل، فهو مثلٌ ضربه الله لعي اللسان ورداءة البيان حين شبه أهله بالنساء والولدان! لذا عُدت قوة البيان من مقومات الرجولة.

وعليه فإن من المؤثرات النفسية التي توازر الخطيب في أداء مهمته على الوجه الأتم بعد قوة شكيمة، مكانته الاجتماعية، ومقوماته الشخصية، وفضائله ومناقبه، وقد وردت في القرآن العظيم إشارة إلى ذلك، قال تعالى في قصة نوح عليه السلام: ﴿ قَالَ يَقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٦١) أبلغكم رسالت ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴿ الأعراف: ٦١ - ٦٢ .

فهو يثبت لنفسه العلم وينفيه عنهم ليدل على أهليته ومكانته وأن عليهم أن يأخذوا عنه ويستفيدوا منه ويهتدوا بهديه فعنده ما ليس عندهم، والطريق السوي أن المفضل يأخذ من الفاضل أسباب الفضيلة ويتعلم مسالكها ..

ولهذا المعنى تبعث الرسل في أشرف قومها ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أشرف الناس وأرفعهم مكانة ففي حديث واثلة بن الأسقع مرفوعاً: «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم» (١).

فالشرف والوجاهة والمنصب كل أولئك عوامل يتحقق بها التأثير الخطابي.

(١) رواه مسلم / كتاب الفضائل رقم (٢٢٧٦).

التقسيم الحديث للخطبة

- لم يرتض علماء العصر الحديث تقسيمات أرسطو للخطبة لعدم وضوحها، ولقصورها عن الإحاطة بما استجد من أمور الحياة والناس، ولتداخل أنواعها في بعضها، ولذلك قسموا الخطبة تقسيمات جديدة تعتمد على موضوع الخطبة وعلى تقدير وتوجيه الخطيب لها، وهي كما يلي :
- ١- الخطابة الوعظية: وهي الخطبة التي تتم في دُور العبادة وتتعلق بال عقيدة والإيمان. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
 - ٢- الخطابة السياسية: وهي الخطبة التي تدور حول الشؤون العامة للدولة، وتشمل: الخطبة الانتخابية والبرلمانية.
 - ٣- الخطابة القضائية: وهي الخطب التي تُلقى في دُور المحاكم من النيابة أو من المحامين أو من المتقاضين.
 - ٤- الخطابة العسكرية: وهي الخطب التي تلقى في الجنود ورجال الجيش.
 - ٥- الخطابة المحفلية: وهي خطب التأبين^(١) والمدائح ومحافل الفرح والتهاني.
- ويلاحظ أننا آثرنا تسمية النوع الأول بالوعظية ؛ لأن الإسلام دين يشمل كل جوانب الحياة عسكرية وقضائية وسياسية وغيرها، والخطب في هذه الجوانب جميعاً دينية بالضرورة ومن هنا تعد الخطابة الوعظية جزءاً من الخطابة الدينية.

أهمية الخطابة الدينية :

- ترجع أهمية الخطابة الدينية إلى ما يلي :
- ١- تغذية الروح وطرح الجفاف النفسي والذهني الذي ينشئ القلق والحيرة والانهيار ، وتخفيف غلواء المادية وشروورها وسيطرتها على الإنسان في الحياة .
 - ٢- تغذية الشعور وإثارة الحماس وبعث الهمم حتى تستطيع الإنسانية أن تحقق أشواقها ورغباتها في هذه الحياة .
 - ٣- معرفة الحقيقة ، وتبصير الناس للحياة الباقية التي يكون فيها الثواب والنعيم الحقيقي ، وإرشادهم للفوز برضا الله ﷻ والخلود الأبدي في الجنة.

(١) التأبين : هو الثناء على الميت بخير ، ومادح الميت يقال له : مؤبّن.

أساسيات علم الخطابة

لا يختلف علم الخطابة عن سائر العلوم في أن له موضوعاً يتخذه مجالاً لدراسته ومباحثه، وفي أن له هدفاً يسعى لتحقيقه والوصول إليه.. وليس مسلماً ما يدعيه البعض من أن الخطابة موهبة ولا مدخل للاكتساب إليها، لأن الموهبة في حقيقتها لو وجدت تحتاج إلى التنسيق بالدراسة، ولا بد لها من معرفة القواعد العلمية لتفيد وتؤثر، وكم من خطباء بدأوا عملهم قبل اكتشاف استعدادهم الفطري، وإذا بهم يتبعون قواعد العلم فيبرزون بالعلم والموهبة معاً، صحيح أن الموهبة لها دورها في النجاح لكنها لا تغني عن الدراسة والعلم والإحاطة بأركان علم الخطابة.

لقد كتب العلماء الأوائل في الخطابة، وتبعهم المتأخرون فقدموا بذلك زاداً للعلماء والدارسين يضيء الطريق ويشجع على مداومة المسير.

وأركان علم الخطابة التي هي موضوعه تنحصر في ثلاثة هي:

١- الخطبة. ٢- الخطيب. ٣- المستمع.

ذلك لأن الخطابة في جملتها أقوال هادفة، رتبت وفق منهج علمي معين، يتحدث بها شخص عالم بما يقول، ويوجهها لجمهور من الناس، بهدف التأثير فيهم وإقناعهم بما يراد منهم... وعلى هذا فالأقوال هي الخطبة، والقائل هو الخطيب، والجمهور هم المستمعون... يقول ابن رشد: "إن الكلام مركب من ثلاثة، من قائل وهو الخطيب، ومن مقول فيه وهو الذي يعمل القول فيه، ومن الذين يوجه القول إليهم وهم المستمعون"^(١). إن علم الخطابة يتناول كل ركن من هذه الأركان الثلاثة، فيعرف به ويقسمه أقساماً معينة من أجل تفهمه ودراسة أبعاده المتعددة وفق المنهج العلمي لدراسة علم الخطابة، وبعد ذلك تكون قواعد بيينة واضحة أمام الخطباء وكل من يتصدى لهذه العملية التوجيهية الهامة.

(١) تلخيص الخطابة ص ٢٨.

الركن الأول : الخطبة

عندما يقصد شخص ما مخاطبة مستمعيه بمقولة خاصة وعلى هيئة الخطبة لزمه أن يستعد لها، فيتصورها بوجدانه ويفكر في عناصرها بعقله، ويقف على الأدلة والبراهين التي سيوردها خلالها، ويهيئ أسلوبه وبيانه الذي سيحدث به المستمعين.

والخطبة ليست عملية سهلة، ولكنها أمر شاق يحتاج إلى وقت وجهد، لأن من يستمعون للخطبة لهم عقول تحكم، ولهم أرواح تحس، ولهم نفوس تتذوق، ولذلك كانت ضرورة التسلسل المنظم للخطبة، والبيان الواضح في أسلوبها، والإقناع والإستمالة بأدلتها.

ولإتقان عملية الخطابة لابد من التدريب على ثلاث مهارات :

مهارات التدريب على الخطابة:

المهارة الأولى: التدريب على إعداد الخطبة وصياغتها.

المهارة الثانية: التدريب على إلقاء الخطبة.

المهارة الثالثة: التدريب على التقويم.



المهارة الأولى : التدريب على إعداد الخطبة وصياغتها

الأمر العظيم يحتاج إلى تخطيط وإعداد، حتى يكون على قدر المقام الذي وضع له، ألا ترى رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يستعدون لدورهم بكل ما أوتوا من قوة.

فهذا رسولنا ﷺ يدرك خطورة دوره فيبذل الجهد في المحافظة على وحي الله إليه، ويحاول أن يصونه بكل الوسائل الممكنة وهو ينزل إليه فقال الله ﷻ له: ﴿لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿القيامة: ١٦ - ١٧ .

والخطبة من المسائل الصعبة الخطيرة، يستشعر ذلك كل من مارسها عملياً، وواجه جمهوراً من الناس في يوم ما، يقول عمر بن الخطاب ﷺ: " ما تصعدني كلام كما تصعدني خطبة النكاح "، وقيل لعبد الملك بن مروان: " عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين فقال: كيف لا يعجل علي، وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين"^(١)، ولصعوبة الخطبة وجب الإعداد لها.

والإعداد هو التهيئة والتحضير، ولا بد منه للخطبة ليرز المعنى في ثوب قشيب مؤثر.

ويمكن التدريب على إعداد الخطبة بطريقتين:

الطريق الأول: الإعداد الذهني، سواء بالاطلاع على المصادر والمراجع، أو باستحضار النصوص المحفوظة ومعرفة أوجه الاستشهاد بها، أو بجمع العناصر وترتيبها، أو بكل ذلك.

الطريق الثاني: الإعداد الكتابي، وذلك بتدوين المعلومات ثم تنسيقها وترتيبها ثم صياغتها وتحبيرها والتأنق فيها، وهي طريقة تلائم المبتدئين من الخطباء والوعاظ وعلى المحاضرين، على اختلاف بين بين مناهج كل من الخطبة والمنبرية والوعظ والمحاضرة.

وإعداد الفكرة والمعنى وإظهارها بصورتها اللائقة يمر بمراحل متعددة، لأن تخير الموضوع وتحديدته في العقل والرضى به يمثل مرحلة، كما أن تحليل الموضوع لعناصره الأساسية واختيار أدلته وتنسيقها يمثل مرحلة ثانية، وأيضاً فإن صياغة المعاني والأدلة في قالب بياني فصيح، وأسلوب بليغ يتناسب مع المستمعين يمثل مرحلة ثالثة.

ولا تفضل مرحلة عن غيرها في الأهمية فجميعها يتضافر في تقديم خطبة جميلة متماسكة تصل لهدفها وتأثيرها.

(١) انظر: المجالسة وجواهر العلم لأبي بكر الدينوري (٣٣٥/٤) (١٣٥/٦).

وينقسم الإعداد للخطبة إلى مراحل أربع:

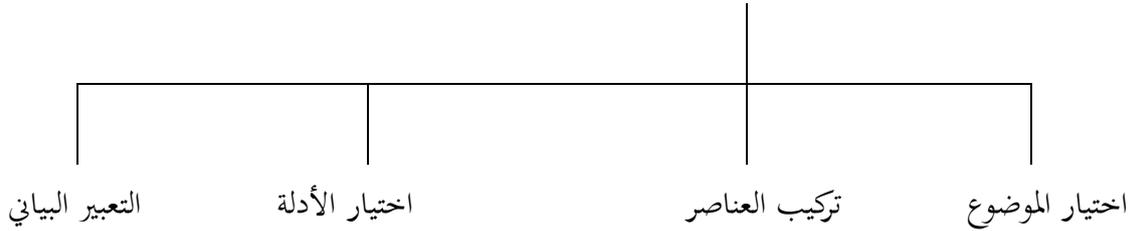
المرحلة الأولى : اختيار الموضوع.

والمرحلة الثانية : تركيب العناصر.

والمرحلة الثالثة : اختيار الأدلة.

والمرحلة الرابعة : التعبير البياني.

مراحل إعداد الخطبة



المرحلة الأولى : اختيار موضوع الخطبة

حينما يحتاج أمر ما إلى إلقاء خطبة، فإن على الخطيب أن يلجأ إلى نفسه أولاً لبحث عن الموضوع الذي يناسب هذا الأمر، ويتفق مع رغبات المستمعين، ذلك أن الموضوعات كثيرة، ومناسباتها عديدة، فما يناسب التهنية لا يناسب العزاء، وما يقال في الصلح غير ما يقال في الجهاد، وخطبة الأعياد والمناسبات الدينية غير ما في الأيام العديدة سواها.

وأيضاً فإن الموضوع الواحد يلقي بأوجه متنوعة، وما يثير اليوم قد لا يثير غداً تبعاً لتغير الموقف والحال. ثم إن الناس يتأثرون ببيئتهم وثقافتهم ولا بد أن تتناسب الخطبة معهم، ومن هنا كانت أهمية اختيار موضوع الخطبة وتحديدده وفق اعتبارات موضوعية معينة، وهذا الاختيار للموضوع هو المرحلة الأولى في الإعداد، وحسن اختيار الموضوع ينبغي أن يراعى فيه الأمور التالية:

١ - **استحضار الهدف:** إن من فقه الخطيب أن يكون مستحضراً الهدف الذي يريد أن يتوصل إليه بخطبته، ويكون ذلك الهدف مشروعاً، وبحسب ذلك الهدف يبنى خطبته وينظم عقدها، ويكون مقتنعاً بذلك الهدف، فيكون اختياره للموضوع تابعاً من صلاحيته للعرض على الناس ومقدار النفع المتوقع لهم

منه، لا أن يكون ناتجاً عن اندفاع عاطفي أو رغبة في إرضاء جمهور الناس، إذ صار ذلك همّ بعض الخطباء - شعروا أو لم يشعروا - فهم يهتمون بطرح ما يرضي الناس وما يرغبون فيه، فيكون المؤثر في الخطيب الناس، بينما المفترض العكس، وهناك نوعان من الأهداف:

أ - أهداف بعيدة المدى: بحيث يجعل الخطيب في الحي أو البلدة أو القرية مجموعة من الأهداف يسعى لتحقيقها في حيه أو بلدته، فيرسم معالم للتغيير الذي ينشده وطرائق لمعالجات الواقع في مجتمعه، مراعيًا في ذلك الموازنة بين جلب المصالح ودرء المفاسد، ويكون وضع هذه الأهداف في ضوء دراسته للبيئة التي يعيش فيها.

ب - الأهداف الخاصة بكل خطبة: بحيث يكون الخطيب قاصداً لأهداف يريد تحقيقها وغايات وأغراض يريد الوصول إليها.

٢ - أن تكون الخطبة صادرة من شعور قلبي صادق: إن أحسن الخطب وأفضلها وأكثرها نفعاً وفائدة، ما كان صادراً من شعور الخطيب وإحساسه بأهمية الموضوع وبمقدار حاجة الناس إليه، فالداعية رحيماً بالناس مشفقٌ عليهم كأنه النذير العريان؛ لأنه ينذر الناس ما هم مقدمون عليه من العذاب، وهذا ما يفسر لنا تأثير النبي ﷺ في الخطبة إذا ذكر الساعة، ففي حديث جابر بن عبد الله ﷺ في الكلام عن خطبة النبي ﷺ: «وكان إذا ذكر الساعة احمرت وجنتاه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه نذير جيش، يقول: صباحكم ومساكم. . .»^(١).

٣- اختيار الوقت المناسب للموضوع: إن من المداخل الجيدة للموضوعات الخطابية، أن يكون السياق الزمني داعياً لها، وإذا استغل الخطيب ذلك الظرف كان لخطبته أثر كبير، مثال ذلك: - لو كانت الأمة في حالة خوف وفي خضم أمر عظيم دهمها فركنت إلى القوى المادية، فخطب الخطيب عن التوكل على الله وأهميته، وأن اتخاذ الأسباب لا ينافي ذلك، لوقع الموضوع في نفوسهم موقعه، ولرسخ في الأذهان، وردّ الناس إلى الموقف الرشيد.

ومن مراعاة الوقت أن يختار لكل موسم ما يصلح له، فلرمضان من الخصائص ما ليس لغيره من الشهور، وفيه من الوظائف الشرعية ما ليس في غيره، وليس من الحكمة في شيء أن يخطب الإنسان بعد نهاية الظرف المناسب للموضوع عن الموضوع، فقد خطب أحد الخطباء في إحدى عواصم الدول الإسلامية عن ليلة القدر يوم الثلاثين من رمضان وليس هناك أمل بإدراك هذه الليلة.

(١) رواه النسائي في سننه رقم (١٥٧٨) (١٨٨/٣)، وأحمد في مسنده رقم (١٤٩٨٤) (٢٣٤/٢٣).

٤- التركيز على الأساسيات والقضايا الكلية : ومن فقه الاختيار التركيز على الأساسيات والقضايا الكلية، وعدم تضخيم الجزئيات على حساب الكليات والأصول.

قال ابن القيم : " وكذلك كانت خطبته ﷺ إنما هي تقرير لأصول الإيمان، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه، وذكر الجنة والنار، وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته، وما أعد لأعدائه وأهل معصيته، فيملأ القلوب من خطبته إيماناً وتوحيداً ومعرفة بالله وأيامه، لا كخطب غيره التي إنما تفيد أموراً مشتركة بين الخلائق، وهي النوح على الحياة والتخويف بالموت، فإن هذا أمر لا يحصل في القلب إيماناً بالله، ولا توحيداً له، ولا معرفة خاصة به، ولا تذكيراً بأيامه، ولا بعثاً للنفوس على محبته والشوق إلى لقائه، فيخرج السامعون ولم يستفيدوا فائدة، غير أنهم يموتون وتقسّم أموالهم ويبيلى التراب أجسادهم، فيا ليت شعري أي إيمان حصل بهذا؟ وأي توحيد ومعرفة وعلم نافع حصل به؟"

٥- الحرص على عدم التكرار إلا لحاجة: ينزع بعض الخطباء إلى تكرار خطبهم كل سنة، ميلاً إلى الدعة ورغبةً عن البحث والاطلاع ، فيقع أسيراً لبضعة مواضيع قد تكون هامة وقد لا تكون، ليطلع بها على الناس كل أسبوع، مما يحدث الملل لدى الجمهور الذي يعاني من تكرار الخطب التي لا جديد فيها، ويؤدي إلى إهدار قيمة هذا المنبر الخطير .

٦- التبكير بالاختيار: إن الخطيب إذا بكر في الاختيار كان ذلك أدعى لضبط الموضوع، إذ يصبح همّاً للخطيب ، يبحث عن مراجعه، ويدون بعض الملاحظات عنه، ويستفهم، ويسأل أهل العلم عن جوانبه المستغلقة، فيخرج الموضوع وقد تم نضجه واستوى على سوقه.

ويزداد الأمر جودةً إذا كان الخطيب قد وضع سلماً لأولويات ما يخطب عنه، وحرص على إيجاد دفتر ملاحظات خاص يدون فيه ما يجول في خاطره من موضوعات، يراها جديرة بالطرح، ويدون مع تدوين العناوين جملة من مراجع، وما كتب فيه من كتب ومقالات.

٧- الشمولية : إن الإسلام دين شامل ينظم الحياة كلها، وهذا الشمول سمة من سماته الرئيسة، والخطيب حين يختار موضوعاته للناس يجب أن يراعي هذه السمة، فلا يكون موغلاً في بيان جانب من الجوانب يركّز عليه ويغفل ما سواه.

المرحلة الثانية : تجميع العناصر

تجميع العناصر وتركيبها هو المرحلة الثانية في إعداد الخطبة، ذلك أنه في المرحلة الأولى حدد الموضوع، واختار نوعية الدليل، وبعد ذلك يحدد العناصر ويفصل الدليل مع كل عنصر، واضعاً في ذهنه الأسس التي اكتسبها من المرحلة الأولى، وقد سمى ابن سينا هذه المرحلة بـ "العمود"؛ لأنها الأساس المكين في الخطبة وعليها المعول الأكبر في الترتيب والتنسيق، وعلى الخطيب أن يحدد عناصر الخطبة ويميز كل عنصر على حدة، ويجعل كل العناصر تدور حول موضوع واحد.

ويستحسن للخطيب أن يوجز هذه العناصر في كلمات قصار، لكي تدوم معه ويتمكن بعد دوامها من جمع الأدلة المناسبة لكل عنصر.

ومما يعين في تعيين العناصر، القراءة في المراجع العلمية، والفحص العقلي للموضوع، ووضوح الهدف من الموضوع كله.

ويجب أن تكون العناصر مترابطة متسلسلة، بحيث يأخذ كل عنصر بـ **مُحْجَز**^(١) صاحبه، بلا خلل أو بعد عن الموضوع، وبخاصة أن الاستطراد غير مستحب في الخطبة.

ويجمع العناصر تبدأ الخطوة العملية في تركيب الخطبة.

وقد ضرب لنا ابن رشد في تلخيصه لكتاب الخطابة أمثلة لعناصر بعض الخطب لكي تحتذي.

يقول ابن رشد: " إن المشير بالحرب يحتاج أن يعرف قوة من يجارب وقوة بمن يجارب ومقدار الأمر الذي ينال بالمخاربة، وحال المدينة في وثاقتها وحصانتها، وضعف أهلها وقوتهم، وأن يعرف شيئاً من الحروب المتقدمة. " وهذه كلها أهم عناصر الخطبة التي يجب أن يحيط بها الخطيب.



(١) أصلُ الحُجْزَةِ: مَوْضِعُ شَدِّ الإِزَارِ، ثُمَّ قِيلَ لِلِإِزَارِ حُجْزَةٌ لِلْمُجَاوِرَةِ، يُقَالُ احْتَجَزَ الرَّجُلُ بِالِإِزَارِ إِذَا شَدَّهُ عَلَى وَسَطِهِ، فَاسْتَعَارَهُ لِلتَّمَسُّكِ بِالشَّيْءِ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ١/٣٤٤.

المرحلة الثالثة : اختيار الأدلة

بعد الاستقرار على موضوع الخطبة وتقسيمها إلى عناصرها الأساسية، يأتي دور البحث عن الأدلة والبراهين التي تعين الخطيب على بيان موضوعه وإفهام المستمعين، وهذا يحتاج إلى تحديد نوعية المصادر التي تفيد كل موضوع، فمثلاً: مصادر الخطبة الدينية وهي الوعظية : آيات القرآن العظيم، ثم ما صح من سنة النبي المصطفى ﷺ وسيرته، ثم فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين والعلماء الأئمة، والأشعار، والحكم، والأمثال، وشواهد التاريخ ، والخطبة السياسية تختلف مصادرها عن تلك وهكذا. ويرى العلماء أن الأدلة منها ما يتصل بالموضوع اتصالاً مباشراً ومنها ما يتصل بطريق عرضي غير مباشر.

المرحلة الرابعة : التعبير البياني

وهو: وضع الكلام وترتيب الحديث وإجادة سبكه ، ومن الصياغة تزويق الكلام، أي: تحسينه وتقويمه وتهيئته، وقد يستغني عن الصياغة المتمرسون من الخطباء ممن يرتحلون خطبهم ارتجالاً بعد طول إعداد، ثم ومع كثرة الإلقاء والإعداد يستظهر الخطيب جمعاً كبيراً من النصوص، ويتمرس على قدر غير قليل من فنون الكلام، وكلما ترقى في درجات الاستظهار والاستشهاد والتمرس على أساليب الخطبة، كلما قلّ طلبه إلى الإعداد والصوغ لاسيما إن قوّم ما ألقاه من كافة الوجوه اللغوية والخطابية والفنية والنفسية. وعليه فلا بد أن تكون لدى الخطيب ملكة التقويم والنقد الذاتي، يزن كلامه قبل التلفظ به، ثم يراجع ما قاله بروح ناقدة مستبصرة مستعيناً بذوي العلم والخبرة ممن سبقوه، وتدور هذه المرحلة مع الخطبة قبيل ظهورها إلى الناس، وتتصف بالأهمية والضرورة، لأنها مرحلة تتسم صاحباتها بقدرتها، فلو أجادت فهو أثر لجودة المراحل الثلاثة، ولو ضعفت فلا جودة لشيء بعدها.

إن الكاتب قد يكرر ويعلل ويحلل؛ أما الخطيب فإنه يقذف بكلماته فيتلقاها الجمع في سرعة لا يتيسر له مراجعتها أو التوقف لتفهمها ؛ لأنه مضطر إلى متابعة الخطيب وتلقف ما يقول.

إذاً لا بد للخطيب أن يكون مع الناس بأسلوبه المبسّط، ومعانيه السهلة، وإقناعه الملزم، فلأسلوب سلطان لا يضعفه العقل وأثر لا يمحوه الدليل، والأسلوب هو ألفاظٌ وجمل ينطق بها المتكلم، ويتحدث بها الخطيب لا تكاد تخرج من فيه حتى تعلو الهيبة وجوه السامعين وتمتد الأعناق له احتراماً، ألفاظٌ وجمل تثير في النفوس صوراً لا حد لها ولا انحصار، مخفوفة بالإكبار والتقدير، إذا كان هذا هو بعض أثر الأسلوب

وتأثيره فكيف يكون الشأن في المعنى المحكم وقد كسي بلفظ جميل وألقي بلفظ منسجم وعبارات تثير في النفس أخيلة وأماني ، **فالتعبير البياني الخطابي** ملخصه : يحتاج إلى جمال الأسلوب، وموسيقى اللفظ وينبني على الفصاحة والبلاغة ويؤمن بالتكرار والتأكيد، ويعرف الاستشهاد المؤثر ويصاحب التمثيل الصوتي والتعبير الحركي، وينادي بمراعاة حال المستمعين وأفهامهم ومن هنا جاز للتعبير الخطابي أن يغير سواه.

ونفصل عناصر التعبير الخطابي أو أساليب التشويق في النقاط التالية :

١- **طرح الأسئلة** : الأسئلة تثير الاهتمام عند المتلقي ، وتحفزه للتفكير ، وكلما كان السؤال عميقاً ، ملائماً لحاجات المستمعين كان أكثر تحريكاً لدواخلهم ، وقد حوى القرآن الكريم على أكثر من (٦٠٠) سؤال ، لم يكن المراد في أكثرها الجواب ، بل المراد منه التفكير ، كما في قوله تعالى : ﴿ **وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ الذاريات: ٢١ ، وكثيراً ما كان النبي ﷺ يحرك أذهان سامعيه بأسئلة يطرحها ، من ذلك ما ورد عنه ﷺ أنه قال : « **أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسِ** » ؟ قالوا: المفلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « **المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا ، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا ، وَسَقَكَ دَمَ هَذَا ، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَضُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَضَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا أَحَدٌ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ** »^(١)

٢- **ذكر الأرقام ذات الدلالة** : وهذا ظاهر في أسلوبه ﷺ في جذب انتباه المخاطبين ، وذلك لما في الرقم من الإبهام والإجمال ، مما يستوجب التفكير في تفسير هذا المبهم ، وعندما يذكر المراد بهذا العدد يثبت ويستقر ، من ذلك قول النبي ﷺ : « **كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ** »^(٢) وقوله ﷺ : « **صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا ، قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُحْتِ الْمَائِلَةِ ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا** »^(٣)

٣- **استخدام أدوات التنبيه** : مثل: النداء و"ألا" و"هلا" و"أما" ، فإنها تثير انتباه السامع ،

(١) رواه الترمذي في سننه /باب ما جاء في شأن الحساب / رقم (٢٤١٨) ٢٤١٣/٤ عن أبي هريرة ؓ.

(٢) رواه البخاري /باب فضل التسييح/ رقم (٦٤٠٦) ٨٦/٨ عن أبي هريرة ؓ.

(٣) رواه مسلم / باب النساء الكاسيات / رقم (١٢٥) ١٦٨٠/٣ عن أبي هريرة ؓ.

وتجعله يحضر سمعه وقلبه لتلقي الكلام ، ومن هذا قوله ﷺ: « يَا مَعْشَرَ النَّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ » فُئِلْنَ: وَيَمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِّ الرَّجُلِ الْحَارِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ » ، فُئِلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ » فُئِلْنَ: بَلَى، قَالَ: « فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَمَ تَصُومِ » فُئِلْنَ: بَلَى، قَالَ: « فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا »^(١) وقوله ﷺ: « أَلَا أُتَبِّحُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ؟ » ثَلَاثًا، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: « الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ - وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِمًا فَقَالَ - أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ » ، قَالَ: فَمَا زَالَ يُكْرَرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ.^(٢)

٤- القسم : يبعث النفوس على التصديق وقوة اليقين، فإذا بُدئ به الكلام ، فإن درجة القبول والاستعداد عند المتلقي ترتفع ، وأهمية الموضوع عنده تعلو ، ومن هذا قوله ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثُ الْقُرْآنِ »^(٣)

٥- التكرار لجملة أو عبارة : للتكرار أهمية بالغة يحقق الأهداف التالية:

أ) جذب انتباه المستمع: للكلمة الملقاة ليقبل بعقله وحواسه لتلقي الكلمة، وليبتعد في نفس الوقت عن مختلف عوامل التشويش التي تؤثر على فاعلية الخطابة.

ب) التأكيد على أهمية الكلمة الملقاة: وقيمتها وضرورة استيعابها وحفظها. كما ورد عن النبي ﷺ أَنَّهُ كَانَ « إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا، حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا »^(٤) ومن ذلك قوله ﷺ: « وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لَا يُؤْمِنُ » قِيلَ: وَمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « الَّذِي لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقِهِ »^(٥)

٦- السكت الخفيف . يبعث الحياة في القلوب الساكنة ، فعندما يتعجب الخطيب أو يسأل ثم يسكت ، فما أعظم أثر هذا السكت، ومن هذا ما ورد عنه ﷺ في خطبة الحج أنه قال : « أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟ » ، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِعَبْرِ اسْمِهِ، قَالَ: « أَلَيْسَ يَوْمَ التَّحْرِ؟ » قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: « أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ » ، قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ،

(١) رواه البخاري / باب ترك الحائض الصوم / رقم (٣٠٤) / ١/٦٨ عن أبي سعيد الخدري .

(٢) رواه البخاري / باب ما قيل في شهادة الزور / رقم (٢٦٥٤) / ٣/١٧٢ عن عبد الرحمن بن ابي بكره عن أبيه .

(٣) رواه البخاري / باب فضل قل هو الله أحد / رقم (٥٠١٣) / ٦/١٨٩ عن أبي سعيد الخدري .

(٤) رواه البخاري / باب من اعاد الحديث / رقم (٩٥) / ١/٣٠ عن أنس .

(٥) رواه البخاري / باب إثم من لم يأمن جاره / رقم (٦٠١٦) / ٨/١٠ عن أبي شريح .

فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِعَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ «أَلَيْسَ ذُو الْحَجَّةِ؟»، قُلْنَا:
بَلَى... الحديث^(١)

٧- **القصة** : يعد الأسلوب القصصي من أنجح الأساليب، لما للقصة من سحر وتأثير كبيرين على نفس السامع وعقله، ولما يمكن أن تؤديه القصة من خلال مضامينها من دور في غرس الإيمان والقيم والاتجاهات والميول المطلوبة في نفس الفرد ، وإن كان أثرها يمتد على مدى حياة الإنسان، ويراعي القرآن الكريم هذا الميل الطبيعي لدى الإنسان إلى القصة، فيقدم العديد من القصص المحتوية على مضامين إيمانية عميقة كأسلوب فعال في تهذيب المسلمين، وهو يستخدم كل أنواع القصة، القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وأحداثها، كذلك وردت قصص عديدة في السنة النبوية المطهرة .

٨- **البدء بعبارات تبين أهمية الموضوع وخطورته** : كأن يقول المتكلم : " سنحدثكم اليوم عن أمر جَلَل ، يهم الصغير والكبير " . فإن مثل هذا الأسلوب يجتذب انتباه السامع ، لأنه يهيم ويتعلق به ، ولعل مما يمثل هذا قول النبي ﷺ : «وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا»^(٢) وقوله ﷺ : «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بِالْحَدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ فَيَكْذِبُ، وَيْلٌ لَهُ وَيْلٌ لَهُ»^(٣) وقوله ﷺ : «إِيَّاكُمْ وَالِدُخُولَ عَلَى النَّسَاءِ» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحُمُو؟ قَالَ: «الْحُمُو الْمَوْتُ»^(٤)

٩- استعمال الإشارة:

ورد في القرآن الكريم أن الإشارة تؤدي من الغرض البياني ما يؤديه اللسان في بعض الأحيان كما في قصة مريم عليها السلام قال تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْتِ صَبِيًّا ﴾ مريم: ٢٩ والإشارة لغة منظورة ، هي كما تكون باليدين والأنامل، تكون كذلك بالعينين والحواسب والرأس، ولكل أمة فهم معين للغة والإشارة، والإشارة قد تؤدي من المعاني ما لا يؤديه اللسان، ولهذا قالوا: رب إشارة أبلغ من عبارة! ومن أدلة مشروعيتها : قوله ﷺ: " بعثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى " .^(٥)

(١) رواه البخاري / باب الخطبة أيام منى / رقم (١٧٤١) ١٧٦/٢ عن أبي بكرة ؓ .

(٢) رواه البخاري باب من أعاد الحديث ثلاثاً / رقم (٩٦) ٣١/١ عن عبد الله بن عمرو ؓ .

(٣) رواه الترمذي / باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس / رقم (٢٣١٥) ٥٥٧/٤ عن بهز بن حكيم عن أبيه .

(٤) رواه مسلم / باب تحريم الخلوة بالجنينة / رقم (٢١٧٢) ١٧١١/٤ عن عقبة بن عامر ؓ .

(٥) رواه البخاري / كتاب الرقاق / باب قول النبي ﷺ: " بعثت أنا والساعة " / رقم (٦٥٠٣) (٨ / ١٠٥) .

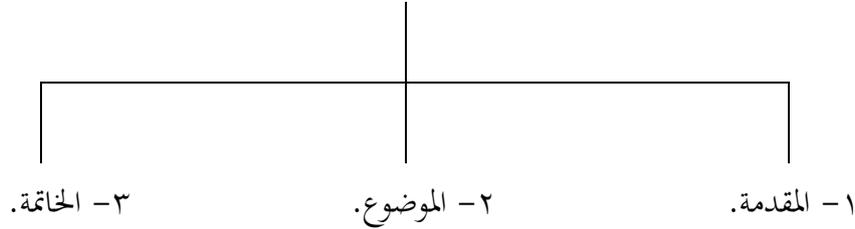
وقوله ﷺ: "أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا، وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً"^(١) وينبغي عدم الإكثار من الإشارة كي لا يخرج عن حد الوقار، بل التوسط أعدل الأحوال، والإشارة كما تكون باليد والأصابع تكون أيضاً بالعين والرأس كما مر معنا قبل قليل، ومما يذكره الحدائق في إشارات العين: " أن العين المفتوحة تمثل الغيظ أو الخوف أو الإعجاب، والعين المغلقة تشير إلى التواضع أو البغضاء، والنظر الشزر يترجم عن الاحتقار والاستهانة، والعين المتحركة يمينا وشمالا تنبئ عن الرياء والاشمئزاز، والعين المنطلقة إلى السماء ترمز إلى الدعاء، والنظر إلى الأرض تعبر عن التأثر والخشوع والحياء، والعين المستقرة في نظرتها تفسح عن الشدة والثبات والرجاء، والعين اللامعة ترجمان عن الظفر".

(١) رواه البخاري / كتاب الأدب / باب فضل من يعول يتيماً / رقم (٦٠٠٥) (٩/٨).

محتويات الخطبة

لا بد للخطيب وهو في طور التدريب على إعداد الخطبة من تحقيق أجزاء الخطبة وشروط كل جزء.

وأجزاء الخطبة ثلاثة:



وهي عناصر لا يصحّح بها أثناء الكتابة أو الإلقاء، كما أنها عناصر متداخلة متناسقة، يبلغ الترابط بينها جودته حسب مقدرة الخطيب وجزارة علمه وخبرته فتتظم أجزاء الخطبة ويحكم تركيبها. وهذا الانتظام والإحكام يجعل المعاني واضحة، والمقاصد ظاهرة، ويضمن للمتحدث حسن الإصغاء من سامعيه وكمال الانتباه من جالسيه.

١- المقدمة: ينبغي أن يهتم الخطيب بمقدمته وافتتاحيته، فيأتي بعبارات الاستهلال التي توحى للسامع بمقصود الخطبة، مما يشد الانتباه ويهيئ النفوس، وقد يكون ذلك بآيات قرآنية زاجرة أو مرغبة أو بعض الحكم البليغة، والافتتاحية هي أول ما يلقيه الخطيب على جمهوره، فإذا ما فاجأهم بحسن التقديم استطاع متابعة بقية خطبته بانطلاق ونشوة وعاش مع جمالها اللفظي وسبكها الفني ومعناها الدقيق.

من شروط المقدمة:

١- أن تستهل بحمد الله جل وعلا والثناء عليه، ثم الصلاة والتسليم على رسول الله ﷺ، وهذا الافتتاح الإيماني هو هدي النبي ﷺ فدوة الخطباء والمصلحين، يقول النبي ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله فهو أيتر»^(١) وقال ﷺ أيضاً: «كل حديث لا يُزين بالصلاة على النبي ﷺ فهو المشوه». فكل خطبة لا يذكر الله ﷻ في أولها فهي "البتر"، وكل خطبة لا توشح بالقرآن وتزين بالصلاة على النبي ﷺ فهي "الشوهاء"، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وكان رسول الله ﷺ لا يخطب خطبة إلا افتتحها بحمد الله... وكان يخطب قائماً... وكان يختتم خطبته بالاستغفار"^(٢).

٢- أن تكون متصلة بموضوع الخطبة تمهد له.

(١) رواه أحمد في مسنده رقم (٨٧١٢) (٣٢٩/١٤)، والنسائي في السنن الكبرى رقم (١٠٢٥٨) (١٨٥/٩).

(٢) زاد المعاد ١/١٨٦.

- ٣- الوضوح، بتخيّر الألفاظ العذبة، مما يفهمه القاصي والداني وتجنب الكلمات الشاذة والغريبة.
- ٤- مراعاة براعة الاستهلال وطرافة الاستفتاح، وتحقيق ذلك سبيله الإمام بضروب البلاغة كالسجع والجناس والطباق وغيرها من أبحاث البلاغة.
- ٥- تناسب حجم الخطبة طولاً وقصراً.

وإذا انتهى من المقدمة شرع فيما بعدها بقوله: "أما بعد" قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَكَ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ ص: ٢٠ هو قوله: "أما بعد" (١).

وهو هديه ﷺ في خطبه وقد صنف الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجمعة باباً فقال: باب من قال في الخطبة بعد الثناء: أما بعد، رواه عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ، وساق فيه حديث المسور بن مخرمة ﷺ قال: «قام فينا رسول الله ﷺ فسمعته حين تشهد يقول: أما بعد» (٢).

قال ابن منظور: "فصل الخطاب: أَمَا بَعْدُ، وداوُدُ التَّيْلَمِيّ، أَوَّلُ مَنْ قَالَ: أَمَا بَعْدُ، وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ: مَعْنَى أَمَا بَعْدُ: أَمَا بَعْدَ مَا مَضَى مِنَ الْكَلَامِ، فَهُوَ كَذَا وَكَذَا" (٣).

٢- الموضوع: وهو مقصود الخطبة الأعظم، وقد أشرنا في الكلام على أنواع الخطب إلى معظم مقاصد الخطبة.

وقد يكون من المناسب التصريح به في مبتدأ الخطبة كأن يقول: أريد أن أحدثكم عن كذا. إذا كان من قضايا الساعة التي يخوض فيها المجتمع ويتطلع إلى كلام شافٍ فيها.

وقد لا يحسن التصريح به، إما لأنه شائك أو يوجب انقسام الناس، وفي هذه الحالة ينبغي أن يدخل إليه الخطيب دخولاً متدرجاً، ويتناوله تناولاً غير مباشر، ليأخذ السامعين بتسلسل منطقي، فيصل إلى مبتغاه باعتدال وتوازن متحاشياً الإثارة والانقسام، ومن ثم يبلغ الخطيب غايته من تهيئة النفوس إن كانت عنه معرضة وإليه غير مقبلة، أو كان حديثاً في غير ما تألفه النفوس.

وموضوع الخطبة عادة ما يبتنى على أساسين رئيسيين هما التعريف والإيضاح والاستدلال.

(١) زاد المسير / ابن الجوزي ٧/ ١١٢.

(٢) صحيح البخاري / باب الجمعة رقم (٩٢٦).

(٣) لسان العرب ١/ ٣٦٠-٣٦١.

أسس موضوع الخطبة

الاستدلال

التعريف والايضاح

- أما **التعريف والايضاح** : فلا يقصد به ما يعتني به الباحثون المختصون من اللغة والاصطلاح، ولكنه يكون بذكر الصفات والخواص والمزايا لذات الموضوع، وقد يكون الاستعارات والتشبيهات وضرب الأمثال والإجمال ثم التفصيل وبالصلة والتضاد والتقابل، وانظر إلى هذا التعريف من علي عليه السلام للمتقين من خلال أوصافهم ونعوتهم فهو يقول: "المتقون هم أهل الفضائل، منطقتهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيمهم التواضع، غضوا أبصارهم عن الحرام، ووقفوا أسماعهم على النافع من العلم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب".

-أما **الاستدلال** : فغالباً يحتاج الموضوع إلى ما يدعمه بالأدلة والحجج والبراهين والشواهد، وهي عادة ما تكون من الكتاب والسنة وأقوال السلف، وإيراد بعض الوقائع والأحداث من باب القياس والاعتبار، بل إن زيادة الإيضاح والبسط والبيان نوع من التلليل وكسب إقناع المستمعين بصدقها أو أهميتها أو خطورتها، ومما يدخل في هذا الباب دخولاً أولياً ربط الحاضر بالماضي وبخاصة تاريخ السلف الماضين، فإن من النفوس من تحفظ تقديراً وإكباراً لسلفها المجيد، وأصحابه الأماجد، ويفيد في هذا الباب النقل عن مشاهير الأئمة وحكمائها ممن عرفوا بالصلاح والإمامة والمروءة والزهد والشجاعة والورع حسبما يقتضي المقام ويناسب المقال.

٣- الجزء الثالث من أجزاء الخطبة: الخاتمة : بعد أن يفرغ الخطيب من عرض موضوعه، وسوق أدلته، وضرب أمثله وبيان دروسه، وعبره، وترغيبه وترهيبه، يحسن أن ينهي خطبته بخاتمة مناسبة يراعى فيها ما يلي :

- ١- أن تكون موجزة يجمع فيها الخطيب أفكاره، ويلخص موضوعه، بعبارات مغايرة، وطريقة مختصرة، لأن الإطالة في هذه الحالة تجلب الملل وتشنت الفكر.
- ٢- لا ينبغي أن تحتوي على أفكار جديدة وأدلة جديدة؛ لأنها حينئذ لا تكون خاتمة وإنما جزء من الخطبة وامتداد لها.
- ٣- أن تكون الخاتمة قوية في تعبيرها وتأثيرها، لأنها آخر ما يطرق سمع السامع ويبقى في ذهنه، وإذا كانت ضعيفة في تركيبها فاترة في إلقائها، ذهبت فائدة الخطبة، ذلك أن من نجاح الخطيب

أن يلقي خاتمته بثقة وطريقة مؤثرة ومقنعة، وكأنه يشعر جمهوره بأنه قد انتهى إلى رأي ومسألة لا تقبل الجدل ولا تحتمل النظر.

وقد تكون الخاتمة آيات قرآنية لم يسبقها من قبل تجمع موضوعه في الترغيب أو التهيب أو التذليل والإثبات، وقد تكون حديثاً نبوياً يفيد ما تفيد الآيات القرآنية، وقد يكون إعادة لعناصر الخطبة بأسلوب مغاير - كما أسلفت - وبطريقة جامعة واضحة ذات تأثير قوي.

وإذا نظرنا في خواتيم سور القرآن، نجدها في غاية الحسن وغاية الدلالة على موضوع السور، مع تضمنها على ما يؤذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى انتظار عند المستمع، ومن أحسن ما أذن بالختام خاتمة سورة إبراهيم يقول الله ﷻ: ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ، وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ إبراهيم: ٥٢ ومثلها خاتمة الحجر في قوله ﷻ: ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ الحجر: ٩٩ وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدئت بأحوال القيامة وختمت بقوله: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ، ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ الزلزلة: ٧ - ٨.

وعلى الخطيب أن يبذل وسعه في الإحاطة بالأجزاء التي تحويها الخطبة ليقدر على الأداء السليم؛ لأنه لو ضم إحادة التقسيم إلى فطرة مستعدة لكان خطيباً ناجحاً في رسالته، وعليه كذلك أن يجعل الأجزاء مترابطة متسلسلة بحيث لا يشعر المستمع بانتقاله من قسم لآخر بعده لينجو بخطبته من التفكك والضعف وحتى يملك عنصر التأثير في مستمعيه.

ومما يجب أن يراعى لمتن الخطبة وقوتها الأمور الآتية:-

- ١- الوحدة الموضوعية: بأن يراعى كون الحديث في موضوع واحد لا يخرج عنه إلى غيره إلا للحاجة، لأن ذلك أدعى إلى الاستيعاب.
- ٢- الجودة: بأن يكون موضوع الخطبة جديداً جاداً، فالجديد هو الطريف غير المكرر، في أسلوب العرض، ومنهج المعالجة وتقديم الفكرة.
- ٣- الوضوح: سواء في اختيار الموضوع أو في الأسلوب الخطابي وطريقة الإلقاء وفي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان كلام رسول الله ﷺ كلاماً فصلاً يفهمه كل من سمعه» .
- ولفظ الترمذي: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا، ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل، يفهمه من

جلس إليه»^(١) ومن الواضح ترتيب العناصر وترابطها: فيبدأ بالأهم فالمهم، ويراعي التسلسل المنطقي بينها على أن يفرض بعضها إلى بعض ويأخذ بعضها بحجز بعض في تناسق وإحكام.

المهارة الثانية : التدريب على إلقاء الخطبة

الإلقاء: هو فن نطق الكلام على صورة توضح ألفاظه ومعانيه؛ ولذا فن الإلقاء يتطلب:

١- توضيح الألفاظ.

٢- توضيح المعاني.

فتوضيح الألفاظ: عن طريق النطق السليم ، وهذا يتطلب معرفة مخارج الحروف وصفاتها حتى لا تلتبس الكلمات.

وتوضيح المعاني: بأن يأتي المتحدث بالنعمة الصوتية التي تناسب المعنى حتى يبدو واضحاً بيناً وله وقعه المناسب على آذان السامعين له أو المتلقين له، وذلك بأن يتمثل معناه في نفسه في كل كلمة أو جملة، ولا يحول دون ذلك عيب أو علة لا تساعده على البيان.^(٢)

التهيئة قبل الإلقاء :

نجاح الإلقاء يتوقف على نوع إدراك المتلقي لما يقال له، ويمكن للإنسان أن يدرك الكلمة المنطوقة في كثير من الظروف المتغيرة، ولكن تتفاوت نسبة هذا الإدراك لعوامل عديدة حيث يكون الإدراك فيها قوياً، لذا وجب على الخطيب أن يحرص على استيفاء هذه العوامل ويُعد لها عن طريق :

١- جمع المعلومات العامة عن الجمهور الذين سيحضرون لخطبته- قدر المستطاع - وذلك بالاستفسار عن الأمور التالية:

(أ) ما القيم التي يمكن أن يحملونها في أذهانهم ؟

(ب) ما مدى أهمية هذا الموضوع لديهم ؟ وما الذي يريدون معرفته؟

(ج) ما هي المشاكل التي تواجههم؟ كذلك يجب على الملقى أن يعرف بشكل عام ، كم

(١) رواه أبو داود/ باب الأدب رقم (٤١٩٩) ، والترمذي / باب المناقب رقم (٣٦٣٩) وقال: هذا حديث حسن.

(٢) انظر: فن الإلقاء / طه عبد الفتاح ص(١٩).

عدد الحضور تقريباً؟ فإن كان الجمهور صغيراً -أقل من ٢٥ شخصاً- فليعلم الملقى حينئذ أن الانتباه أكثر، والأسئلة والمناقشات ستكون مباشرة مع الجمهور، وسيقوم الملقى المتميز بالاتصال بالجميع عن طريق العين، أما إذا كان الجمهور كبيراً -أكثر من ٢٥ شخصاً- فيمكن أن يحدث السرحان الذهني، والممس مع الحار، والتشتت في الانتباه، فعند ذلك يقوم الملقى بالربط والتلخيص، وتكرار النقاط المهمة ليحافظ على تركيز الجمهور وانتباهه.

٢- معرفة الوقت المتاح له، والمكان الذي سيلقي فيه، فإنهما سيساعدانه على القيام بمهمته بشكل أفضل.

٣- تحديد الهدف: للأسف الشديد نجد أننا في أوقات كثيرة نتحدث بدون أي هدف! فلماذا لا يكون لدينا أهدافاً صغيرة نخدم هدفاً مرحلياً وتصب في هدفنا الأخير؟ فكيف يصوغ الملقى هدفه؟ إليك هذه الطريقة المجربة:

اكتب جملة من ٢٥ كلمة أو أقل، تشرح موضوع حديثك مرتبطاً بهدفك، وإذا كنت غير واضح في هدفك، فكيف يستطيع المستمع أن يتبين هذا الهدف؟ فعملية تحديد الهدف تعد عملية سهلة، وتجعل كل شيء بعدها ينساب سهلاً ويسيراً، فابدأ بها أولاً وستجد كل شيء بعدها يغدو سلساً، فلعل هدفك الرئيسي هو أن تعرّف الجمهور على شيء جديد.. وتجعله يفكر فيه.. ويشعر به.. ويتذكره دائماً.. فكيف ستصل إلى هدفك؟ فكّر في ذلك جيداً! يقول بعض المتخصصين: إن التفكير والاستنتاج والتذكر واختيار ما يعجبك وصقله وجمعه في وحدة فنية من صنعك الخاص.

كيف تلقي الخطبة؟

تقدم أن الخطبة علم وموهبة، وعلى هذا فإن تدريب الدعاة على إلقاء الخطبة يعتمد على ما يرتقيه الأستاذ المدرب بحسب نظرته للمتدرب وميوله ومواهبه وقدراته التعبيرية وتوجهاته الخطابية، ويهدف التدريب على إلقاء الخطبة بصفة أساسية إلى: إيقاظ الصفات الخطابية الخاملة في المتدرب، أو تنميتها وتطويرها لتصبح نمطاً خطيبياً يعرف بها.

خطوات ما بعد الكتابة:

قراءة الموضوع: هي أهم خطوة بعد كتابته، لكي تصوّب الأخطاء الإملائية والنحوية وأخطاء الصياغة إن وجدت
الانتباه إلى الأخطاء المتكررة: يجب الانتباه لهذه الأخطاء التي تتكرر في مواضيع الكتابة، وهي:

- الانتباه إلى تكرار بعض الحروف والكلمات في ذات الفقرة؛ فهي تؤدي إلى ركافة الموضوع، مثل تكرار بعض حروف الجر أو تكرار الفعل الناقص (كان) أو تكرار حروف العطف (و - ثم - الفاء).

- الانتباه إلى الضمائر: هل الضمير يتناسب مع الاسم الصحيح.
 - الانتباه إلى الهمزات والتفريق بين التاء المفتوحة والتاء المربوطة وكتابتها بناء على القاعدة.
 - عدم إغفال الشدة، فالشدة حرف.
 - توظيف قواعد النحو النظرية في مواضيع التعبير، فيجب الانتباه إلى التعريف والتذكير، والتأنيث.
 - مراعاة علامات التّرقيم فهي ضروريّة جدًّا لفهم المعنى الصحيح.
- فمهاره الكتابة ليست وليده اللحظه بل هي مهارة مكتسبة تصقل بالتدريب والمران، وتنقيح النّصوص من قبل أشخاص آخرين أكثر خبرة.
- نصائح عامة لكتابة مقدمة وموضوع وخاتمة مثالية :

- المطالعة ثمّ المطالعة عليك بالمطالعة فهي تعطيك ذخيرة لا يستهان بها من الألفاظ والمفردات، وكما من الصور والتشابه التي قد لا تخطر ببالك، وهناك خطوة عملية بسيطة للمبتدئين تساعد في موضوع الكتابة، وهي من خلال كتابة المفردات الجديدة والصور الغريبة بمفكرة صغيرة، ثم استخدامها فيما بعد عند كتابة مواضيع جديدة.
- اقرأ القرآن بهدف تعبدّي أولاً، ثم بهدف استخراج الإعجاز البيانيّ ثانياً، فأسلوبه القويّ المتين يعلّمك الفصاحة ثمّ البلاغة.
- اقرأ نصوصاً أدبيّة وتذوّق الأدب، فهذا يجعلك مرهف الحس، ذو خيال واسع ليس له حدود.
- اجعل الكتابة متنقّسك الأوّل، وصندوق أسرارك، واعلم أنّك تستطيع أن تبوح بكل ما يجول بخاطرك لهذا البياض الناصع.
- اعلم بأن امتلاكك لملكة التعبير يجعلك أكثر قدرة على التعبير شفويّاً عمّا يجول بخاطرك.

مهارات الإلقاء الجيد :

لكي يكون الإلقاء والعرض متميزاً وقويّاً لا بد من توفر أمور مهمة من أهمها:

١ . طريقة الوقوف:

إن الوقوف الصحيح له دوره في ارتياح الملقى أثناء إلقاء موضوعه مما يزيد ثقته بنفسه، كما أنه يساعده على التنفس الصحيح الذي يؤثر في فعالية الصوت.

٢ . أن يكون عرض الموضوع بطريقة الإلقاء لا القراءة :

لأن ذلك يؤثر تأثيراً أكبر ويجذب السامعين إلى الملقى ، ولأن في ذلك استخدام لجوارح مهمة أثناء الإلقاء وهي العينان واليدان والتي لا يتيسر استخدامها أثناء القراءة المستمرة .

واكتساب هذه المهارة يأتي بالتدرج ، وعلى الملقى الانتباه إلى عدم البدء بعجلة وإسراع .

بعدما تنهض لمخاطبة جمهورك، لا تبدأ بعجلة. فهذه هي السمة المميزة للمبتدئ.

تطلع إلى جمهورك للحظة.. إن كانت هناك ضجة، توقف قليلاً حتى تزول.. أبق صدرك عالياً.

لكن لم الانتظار لفعل ذلك أمام الجمهور ؟ لم لا تفعل ذلك يوماً حين تكون منفرداً بذاتك، عندئذٍ يمكنك أن تفعل ذلك تلقائياً أمام الناس.

٣ . احذر الصدمة الأولى:

يلاحظ في بعض المبتدئين أثناء تدريبهم على الإلقاء الخطابي أنه بمجرد وقوفه أمام الجمهور وشروعه في الخطبة يتلعثم في أول الكلام، بل ربما ارتج عليه فئسي المقدمة تماماً، مع أنه قد اجتهد في إعداد الخطبة. لماذا ؟

إن الكلمات الأولى التي يتفوه بها الخطيب في اللحظات الأولى من وقوفه أمام الجمهور تختلف عن غيرها من كلمات الخطبة ، ذلك لأنه يستقبل موقفاً جديداً يكتنفه الغموض والخوف. فهو يقف أمام الجمهور لأول وهلة وجهاً لوجه، وربما يسيطر عليه شبح الخوف من الفشل أو الخطأ أو عدم قبول الناس له، فيصاب بالتوتر العصبي مما يؤدي إلى ذهوله عن الموضوع. مع أنه في الحقيقة ما أن يمضي في الكلام حتى يشعر بالطمأنينة والثقة.

ما الحل ؟

إن كلمات المقدمة من أهم العوامل المؤثرة في الخطبة، فيها يكتسب الخطيب الثقة بنفسه، وبها يحكم الجمهور على هذا الشخص الغريب المائل أمامهم.

ولهذا، ضاعف الجهد في إعداد المقدمة وتكرارها واستحضارها حتى تكون من الوضوح مثل اسمك تماماً، وإياك والثقة الزائدة.

٤ . الاتزان وضبط النفس:

الاتزان يعني الطمأنينة والهدوء، وتجنب إحداث أي حركة في غير محلها. لأن ذلك يمنح انطباعاً عن الضعف وقلة الثقة بالنفس.

٥ . التواصل مع المخاطب، والتحدث بشكل مباشر:

يجب أن يشعر المستمع أن هناك رسالة موجهة من قلب الخطيب إلى قلبه.

إن الجمهور الحديث، سواء كان في اجتماع أو تحت خيمة، يريد من الخطيب أن يتحدث بشكل مباشر كما لو كان في جلسة سمر، وبالأسلوب الطبيعي الذي يستخدمه أثناء محادثة واحد منهم. إن مهمة تعليم أو تدريب الناس على الإلقاء ليست من المهام الصعبة ، بل إنها مسألة إزالة العوائق، وتحريرهم من القيود، واستدراجهم للتحدث بشكل طبيعي. والطريقة الوحيدة لاكتساب هذه الطبيعة هي التدريب.

تدريب عملي:

إذا وجدت نفسك تتحدث بأسلوب متكلف، توقف وقل في نفسك: " ما الأمر؟ انتبه! كن طبيعياً "، يمكن أن تختار واحداً من المستمعين وتتحيل أنه سألك سؤالاً وأنت تجيب. تحدث إليه، وانس وجود سائر الحاضرين.

يمكنك الذهاب إلى أبعد من هذا، لتطرح أسئلة وتجب عليها.

فمثلاً، في منتصف خطابك، تستطيع أن تقول: " لعلك أيها الأخ الكريم تتساءل عن سبب هذه المشكلة؟ إن السبب بكل بساطة هو... " ثم تبدأ بالإجابة عن السؤال.
يمكنك القيام بهذا الأسلوب بشكل طبيعي جداً. فهو يقطع الرتابة في الإلقاء، ويجعله أكثر مباشرة وتأثيراً.

٦ . جودة النطق:

مخارج الحروف العربية متعددة معلومة، فعلى الملقى أن يُخرج كل حرف من مخرجه الصحيح، لكن مع مراعاة السلاسة والسهولة وعدم التكلف، فإن النفوس تنفر من التنطع والتشدد، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((هلك المتنطعون)).

٧ . مجانية اللحن:

ينبغي للخطيب أن يعتني عناية تامة باللغة العربية صرفاً ونحواً، فيتكلم بلغة عربية صحيحة فصيحة. وإذا أعياه الأمر فليقرأ خطبته على من يصحح له عباراتها، ويضبط كلماتها.

٨ . التمهّل في الإلقاء:

الإلقاء السريع المتعجل يفقد المتابعة، كما أنه قد يشوه إخراج الحروف فيختلط بعضها ببعض وتتداخل المعاني وتلبس العبارات، وقد يؤدي التعجل إلى إهمال الوقوف عند المقاطع ورعاية الفواصل. وهذا التمهّل الذي ندعو إليه لا ينبغي أن يقود إلى هدوء بارد، وتثاقل مميت.

٩ . تمييز الكلمات الهامة بالمؤثرات اللفظية:

ولغتنا العربية مليئة بالمؤثرات والمحسنات اللفظية التي تضيفي إلى الكلمة طابعاً مميزاً جذاباً. فيمكن للخطيب أن يؤكد الكلمات الهامة ويلفت انتباه السامع لها بالمبالغة في تمييزها بهذه المؤثرات.
أمثلة تطبيقية:

أ - التشديد: كقوله تعالى: { فذلکم الله ربکم الحق }، وقوله: { وبستّ الجبال بسّاً }، وكقول الخطيب: الصلّاة، الرّحمة.

ب - الغنة: كقوله تعالى: { وأزلفت الجنّة }، وقوله تعالى: { فلهم عذاب جهنّم }.

ج - المد: كقوله تعالى { مأواهم النار }، وقوله: { والأمر يومئذ لله }، وكقول الواعظ: تذكروا صور العذاب في النار.. من حر وسموم.. وزمهير وزقوم.

وقد يجتمع أكثر من مؤثر لفظي في الكلمة الواحدة فيقوى تمييزها. كقوله تعالى: { فإذا جاءت الطامة الكبرى }.

١٠ . تغيير نبرة الصوت:

من أسباب ضعف التأثير، وتطرق الملل والسآمة إلى السامعين، أن يتحدث الملقى بطريقة رتيبة على وتيرة واحدة.

عندما تجد نفسك كذلك ابحث عن أي جملة مناسبة لتغير من خلالها نبرة صوتك بما يتوافق مع أسلوب الجملة.

ومما يساعدك في القيام بهذا التغيير أمران: ١. التوقف اليسير ٢. التدريب.

١١ . تغيير سرعة الكلام:

فالأفكار الرئيسية والجمل الهامة ينبغي أن يلاحظ في إلقائها التؤدة وعدم الاستعجال، تمكيناً لاستيعاب السامع لها، وتعزيزاً لأثرها في النفوس.

١٢ . التوقف قبل وبعد الأفكار المهمة:

الخطيب الناجح يعرف أين يتوقف أثناء خطبته. فإذا مر بفكرة عظيمة يرغب في ترسيخها في أذهان مستمعيه توجه إليهم، وأحدق بعيونهم مباشرة للحظة من دون أن يقول شيئاً. هذا الصمت المفاجئ له نتيجة الضجة المفاجئة. وهو يجذب الانتباه، ويجعل كل إنسان منتبهاً ومتحفزاً لما سيتلو ذلك الصمت.

وكذا يقال في التوقف بعد كل جملة يراد توكيدها، فهو يضيف إلى قوتها قوة أخرى من خلال الصمت، وذلك أن المعنى يغوص في هذه الأثناء في النفس ويؤدي رسالته.

لكن يجب أن يكون التوقف بشكل طبيعي، ومن دون تكلف.

وقد قيل: " من خلال صمتك تتكلم " فالصمت ليس ذهبياً أكثر مما يستخدم عندما تتكلم. وهو أداة قوية ومهمة لا ينبغي إغفالها، ومع ذلك فهي مهملة من قبل الخطيب المبتدئ.

مثال تطبيقي:

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ النَّحْرِ قَالَ: ((أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟)) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟)) قُلْنَا: بَلَى. قَالَ: ((أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟)) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، فَقَالَ: ((أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ؟)) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟)) قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: ((أَلَيْسَتْ بِالْبَلَدَةِ الْحَرَامِ؟)) قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: ((فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا إِلَى يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ)).

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا مُوْخِرَةُ الرَّحْلِ فَقَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ)). قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ)). قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ)). قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ.

قَالَ: ((هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟)) قَالَ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا))، ثُمَّ سَارَ سَاعَةً قَالَ: ((يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ)) قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ قَالَ: ((هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟)) قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ قَالَ: ((أَنْ لَا يُعَدِّبَهُمْ)).

١٣ . ماذا يجب أن تفعل بيديك ؟

حركات اليدين ستساعد سامعك على فهمك بطريقة أفضل، والاعتدال في الحركة هو المفتاح. حاول أن تكون حركات يديك عفوية وتلقائية قدر الامكان .

١٤ . الحركات والإشارات:

للحركات والإشارات أثرها الهام في الخطابة، وهي نوعان:

١ [حركات لا إرادية: فالغاضب يقطب جبينه ويعبس وجهه، وذو الحماس تنتفخ أوداجه وتحمر عيناه، ومنهم من تنقبض أصابعه وتنبسط، ومنهم من يعلو صوته حماساً وتفاعلاً، ومنهم من يبكي رقة وخشوعاً.

٢ [حركات إرادية: تعكس الانفعال والمشاعر وتعين على مزيد من المتابعة والتوضيح. وينبغي أن تكون هذه الإشارات والحركات منضبطة بقدر معقول، وانفعال غير متكلف، ومتناسقة مع الشعور الحقيقي.

وإذا استخدمت الإيماءات والإشارات بمهارة، وبلا تكلف، وكانت ملائمة لمعاني الكلمات المصاحبة لها فإنه من الممكن أن تكون يدا الخطيب أداة عجيبة لإيصال الأفكار وتحريك المشاعر.

أمثلة تطبيقية :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ وَعَلَا صَوْتُهُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنَادِرٌ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ وَيَقُولُ: ((بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ)) وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَابَةَ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ: ((أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُخَدَّاتُهَا وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَالَّةٌ))... الحديث.

وفي رواية: يَحْمَدُ اللَّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ ثُمَّ يَقُولُ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ وَقَدْ عَلَا صَوْتُهُ: ... ثُمَّ سَأَقَ الْحَدِيثَ بِمِثْلِهِ.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: صَلَّى لَنَا النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ رَفَعِي الْمُنْبَرِ فَأَشَارَ بِيَدَيْهِ قِبَلَ قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ: "لَقَدْ رَأَيْتُ الْآنَ مُنْذُ صَلَّيْتُ لَكُمْ الصَّلَاةَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ مُمْتَلِئَتَيْنِ فِي قِبْلَةِ هَذَا الْجِدَارِ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" ثلاثاً.

عن أبي هريرة أنه قرأ { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا } إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَى: { سَمِيعًا بَصِيرًا } قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنِهِ .

١٥ . التواصل البصري:

لا بد من توزيع النظر على الجمهور. فعيناك هما الحبل الذي يربطك بهم، يعرفون من خلاله مدى اهتمامك بهم، وتعرف أنت من خلاله مدى اهتمامهم بما تقول؛ وهذا يزيد ثقتك بنفسك ويخلصك من الارتباك والتوتر . كما أن النظر في عيون المستمعين مباشرة يحفزهم على الانتباه ويجعلهم قادرين أكثر على استقبال ما تقول .

١٦ . ما هو دور الابتسامة المشرقة ؟

الابتسامة من أبرز مظاهر الشخصية، فهي تكسب الثقة في الحال، وتُظهر حسن نية المرء بسرعة. تقول حكمة صينية: " من لا يستطيع الابتسام يجب أن لا يفتح متجرًا " فالابتسامة المرحة مطلوبة أمام الجمهور كما هي مطلوبة وراء الآلة الحاسبة في المتجر.

هناك خطباء يتقدمون بأسلوب بارد متكلف وكأن عليهم القيام بمهمة مزعجة، فيحمدون الله عند انتهائهم. ونحن أيضاً كمستمعين نشعر بمثل ذلك، لأن هذه الأساليب تنتقل بالعدوى.

١٧ . ما هو تأثير الملابس على الخطيب والمستمع ؟

في أحد البحوث أجمع كل الأفراد أنهم عندما يكونون بمظهر لائق وأنيق يشعرون بتأثير ذلك في منحهم الثقة بالنفس والرفع من تقديرهم الذاتي.

هذا هو تأثير الملابس على من يرتديها، فما هو تأثيرها على الجمهور؟
لا شك أن لها أثراً عليه، فإذا كان الخطيب لا يعتني بملبسه، فإن الجمهور يُكَنّ احتراماً ضئيلاً لهذا الإنسان مثلما يفعل هو لمظهره.

١٨. القضاء على قواطع الانتباه:

لا يستطيع الجمهور أن يقاوم إغراء التطلع إلى الأشياء المتحركة أو الملفتة للانتباه. إذا علم الخطيب هذه الحقيقة، فإن عليه أن يقوم بالآتي:

أولاً: الابتعاد عن العبث بملابسه والقيام بحركات عصبية تحط من قدره.

ثانياً: يجب أن يتدبر الخطيب أمر جلوس الجمهور إذا أمكنه ذلك، لكي لا يجذب انتباههم دخول المتأخرين.

١٩. طريقة مبتكرة:

يستخدم بعض الخطباء المعاصرين رموزاً لأساليب ومهارات الإلقاء والتوقف يقوم بتدوينها بين جمل الخطبة، أو بإزائها في الهامش، وذلك أثناء التدريب المسبق على الخطاب، أو يدونها على ملاحظاته إذا استخدم طريقة الملاحظات المساعدة التي سبق ذكرها. كما يمكن الاستعانة بالألوان بدلاً عن الرموز الخطية.

أمثلة تطبيقية :

(!) أسلوب تعجب

(..) : وقوف

(؟) : أسلوب استفهام

(...): وقوف طويل

(ترتيل) : ترتيل الآية

(رفع) : رفع مستوى الصوت

(إشارة) : إشارة أو حركة إرادية مناسبة

(خفض) : خفض مستوى الصوت

• هذه مجرد أمثلة ولكل من يتصدى للإلقاء أن يستخدم ما يناسبه من الرموز.

المهارة الثالثة: التدريب على التقويم.

كثيراً ما يكون الخطيب ذا ملكة نقدية يقوم نفسه ويحاسبها بعد فراغه من الخطابة، يتأمل الجوانب الإيجابية والسلبية في خطبته على ضوء الدراسة النظرية السابقة، وكثير من مشاهير الخطباء تدرجوا في سلم الخطابة وحققوا أعلى المستويات الخطابية بالتقويم الذاتي، بالتصحيح ما يمكن تصحيحه من الأخطاء الخطابية والاجتهاد قدر الوسع في تلافي ما لا يمكن تقويمه أو التقليل من وقعته خاصة مخارج الحروف، وعيوب النطق الأخرى. وقد يتولى التقويم مدرب متخصص وأستاذ متمرس.

ومن وسائل تقويم الخطبة :

- ١- تسجيل الخطبة ثم سماعها ثم يتم تقويمها ذاتياً .
- ٢- أن يعرض خطبته على بعض إخوانه الناصحين الذين يصدقونه النصح والتوجيه ، ويسأل أهل العلم ما استشكلك عليه من الناحية العلمية أو اللغوية أو الإعداد.
- ٣- أن يعد نموذجاً تقويمياً يشتمل على متطلبات وعناصر الخطبة المختلفة .

عناصر التقويم :

هناك عدد من عناصر التقويم يمكن من خلالها اختبار الخطيب لمعرفة مدى قدرته على الخطابة باعتبار المهبة الخطابية والكم المعرفي. ويمكن تلخيص أهم تلك العناصر المنتقاة في الآتي:

- ١- الارتجال: ويتم تقويم هذا العنصر بأحد ثلاثة اعتبارات: (الارتجال الكلي، أو الجمع بين القراءة والارتجال، أو القراءة الكلية) بحسب قدرات الخطيب البيانية ومدى تمكنه من الارتجال.
- ٢- قوة الصوت ونقاوته (قوة الصوت، التناسق بين نبرات الصوت، القدرة على تكييف الصوت مع المواقف الخطابية)
- ٣- رباطة الجأش (الخلو من مظاهر العي والحصر، توزيع النظرات، التأني في الإلقاء)
- ٤- سلامة اللغة (مراعاة قواعد النحو والصرف، تضافر مؤشرات الفصاحة والبلاغة)
- ٥- استيفاء أطراف الموضوع. (المقدمة ، وضوح الهدف ، توافر العناصر، ترابطها وتناسقها، الخاتمة)
- ٦- استعمال الإشارة. (تنويع الإشارات وحركات اليد وتعابير الجسد ، توقيتها مع الخطابة، التوسط في استخدامها)
- ٧- الالتزام بالوقت المحدد.

- ٨- الحماس والتفاعل مع الخطبة (ارتفاع الصوت، احمرار العينين، اشتداد الغضب، صدق اللهجة).
- ٩- قوة الأسلوب الخطابي: (مخاطبة الجمهور النسائي ، تنوع الأسلوب بين الخبر والإنشاء، مراعاة السكتات والوقفات، الأسئلة، القسم ، التكرار، القدرة على التأثير على المستمعين)
- ١٠- التحقيق العلمي (سوق الأدلة العلمية سواء من الكتاب والسنة وغيرها، التوثيق والعزو) ويمكن اختصار هذه العناصر بذكر ما كتب بالخط العريض فقط. ووضع درجة التقويم أمام كل عنصر، ولا بد أن يحصل المتدرب على الحد الأدنى على النحو الآتي:
- ١٠ درجات للمبتدئين، ١٥ درجة للمتمرسين، وترتفع الدرجة كلما تقدم الخطيب في أسلوب الأداء مع ملاحظة أن العناصر الثلاثة الأولى قد لا تتغير في أغلب الأحيان لأنها تعتمد على الملكة والموهبة، وباقي العناصر يمكن تطويرها على نحو قويم.

الركن الثاني من أركان علم الخطابة : الخطيب .

صفات الخطيب وآدابه : لكل خطيب متميز خصوصيته مهما كانت الأفكار بديعة، والابتكارات متميزة، والاختيارات قوية، والأسلوب رصيناً، والإلقاء عالياً، فلن تتحقق المثالية والأنموذجية للخطبة بهذه العناصر وحدها؛ لأن هناك عاملاً مهماً لا يجوز إغفاله، إنه خصوصية الخطيب وانفراديته، وبعبارة أخرى انصهارية هذه العناصر وانسجامها، وهذا لا يتأتى إلا من خلال الخطيب وشخصيته وتكامل موهبته وخصائصه العلمية والفنية.

إن الخطبة كاللباس المفصل على القامة لا يظهر جماله ولا يتكامل بناؤه إلا بقدر انسجامه على بدن اللابس، إن جودة اللباس وحسن لونه ونوع خياطته ودقة تفصيله لا تكفي في إعطاء الملبس الحسن إلا بعد اتساق ذلك مع قامة اللابس وبدنه، ولهذا فإن الخطبة الجيدة مستوفية العناصر لو ألقاها غير صاحبها لما ظهرت بذات القوة والتأثير والجمال والتأثر.

إذا كان الأمر كذلك فينبغي للخطيب المتطلع للنبوغ والإبداع أن يعرف مواهبه الخاصة ويحسن صقلها وتنميتها، ويستقل بالابتكار والاختيار والأسلوب والإلقاء، لأن المداومة على التقليد والمحاكاة وإطالة الاقتباس لا تنتج خطيباً متميزاً ذا خطب مثالية- والله المستعان على الإحسان والإخلاص-.

وهذا عرض لما ينبغي أن يكون عليه الخطيب من صفات وما يتحلى به من آداب.

صفات الخطيب: تنقسم الصفات المبتغاة في الخطيب إلى نوعين: صفات فطرية وصفات مكتسبة.

الصفات الفطرية : ما يجبل عليها المرء وتعبير عن الموهبة أو الملكة، ويقصد بها الصفات الذاتية لدى الخطيب من الاستعداد الفطري والسليقة الطبيعية، من طلاقة اللسان، وفصاحة المنطق، وثبات الجنان وصوت جهوري، وأداء متوثب، ولسان مبین سليم من عيوب الكلام كالفأفة والتأتأة. مخارج الحروف عنده صحيحة، **والمكتسبة** : هي الصفات التي يكتسبها الخطيب ، وسبيلها التعلم والثقف والممارسة والتدريب ، وعمدتنا في كل هذه الاستضاءة بما ورد في نصوص الشرع، ثم لا نغفل الاستئناس بما أحرزته تجارب ذوي الاختصاص والمراس في مجال الخطابة.

أولاً: صفات الخطيب الفطرية البيانية : وهي الصفات التي من خلالها يعرف الخطيب الموهوب، ولا يكون سبيلها الكسب والتحصيل بل الصقل والتهديب.

وكثير من الخطباء لا تكتشف موهبتهم في الخطابة إلا بعد طول الممارسة والإلقاء، لذا يلاحظ بجلاء التحسن النوعي في أداء الخطيب كلما طالت ممارسته للخطابة، وتم تقويمه على الأسس العلمية التجريبية السليمة. وتتلخص أهم الصفات الفطرية في الآتي:

١ - جهازة الصوت:

بحيث يكون قوياً مسموعاً مستساغاً، تتقبله الآذان وتقبل عليه النفوس، ولا بد من مراعاة هذين الأمرين - أعني قوة الصوت وعذوبته - فإذا بدأ خطبته فالأوفق أن يبدأ بصوت يناسب المقام ثم يرفعه رويداً رويداً كلما أوغل في الخطبة كما في حديث جابر رضي الله عنه قال: «كانت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة: يحمد الله ثم يثني عليه ثم يقول إثر ذلك وقد علا صوته "بعثت أنا والساعة كهاتين ... " (١) والخطيب البارع يكيّف صوته حسب الظروف التي تحيط به، وعدد المستمعين، وسعة المكان، ومكانة الموضوع وخطورته، فيرفع صوته تارة ويخفضه تارة بحسب ذلك، ويراعي الوقفات والسكتات، كما يراعي نبرة الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً، والأسلوب الخطابي تنوعاً وتجديداً، فنبرة الاستفهام غير نبرة التعجب، ونبرة التأكيد غير نبرة الاستعطاف، ونبرة الإعلام والتعليم ليست كنبرة التوبيخ.. وهكذا.

ولعلماء الصوتيات معايير دقيقة يميزون بها الصوت القوي الندي من غيره، ويقسمون الأصوات إلى أنواع شتى كالصوت المبحوح، والصوت الشجي، والصوت المتهدل، والصوت الهادر ... الخ

وفي التنويه بجمال الصوت ونداوته قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه لما سمعه يتلو كتاب الله تعالى: "يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود" (٢)

٢ - اللسن والفصاحة:

الفصاحة والإبانة والبلاغة ألفاظ متقاربة، والخطيب الفصيح هو القادر على التعبير القوي البليغ من غير تكلف، والمتدرب من الخطباء ينبغي أن تكون لديه أو لدى مدرسه معايير دقيقة في اختبار الفصاحة والبلاغة وحلاوة المنطق.

ولا تتأتى الفصاحة إلا بأمرين: أحدهما: عذوبة الحديث، وسلامة المنطق، وذلك باختيار التعبير المناسب المؤثر الواضح البين بحيث يجري الكلام على لسانه جريان الماء في الجدول بغير تكلف ولا لغوب.

الثاني: السلامة من عيوب النطق والكلام، كاللحجة (٣) والفأفة (٤) واللثغ (٥) وتعثر النطق، فمن كان

(١) رواه البخاري / باب قول النبي " بعثت أنا والساعة مرقم (٥٣٠) ١٠٥/٨ عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري / باب حسن الصوت بالقراءة / رقم (٥٠٤٨) ١٩٥/٦ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٣) اللحجة من التلحج وهو التردد: يقال تلحج أي تردد.

(٤) الفأفة: حبسة في اللسان وغلبة الفاء على الكلام

(٥) اللثغ ثقل اللسان في الكلام، يقال فلان أثلثغ وفلانة لثغاء أي به أو بها ثقل في الكلام

حديثه شيقاً سهلاً ممتعاً ممتنعاً صحيح المخارج عذب اللفظ حلو الجرس لا تكلف فيه ولا عسر كان لسناً فصيحاً.

قالوا في تعريف البيان: هو المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير ، وقيل : البيان هو الكشف، وهو أعم من النطق؛ لأن النطق مختص باللسان، ويسمى ما يبين به بياناً. (١)

وقالوا: الفصيح: هو من لا يعتره ثقل في اللسان ولا تكلف في البيان، وقالوا: البلاغة : أن لا يبطئ ولا يخطئ!

وإمام الفصحاء وسيد البلغاء هو رسول الله ﷺ، فلقد جمعت لرسول الله ﷺ جوامع الكلم وملك زمامها فانقادت له وهو القائل صلوات الله عليه: "بعثت بجوامع الكلم" (٢) وفي رواية: "أعطيت مفاتيح الكلم" (٣) وجوامع الكلم مفردتها: الكلمة الجامعة، وهي: الموجزة لفظاً المتسعة معنى، وهذا يشمل القرآن العظيم والسنة، لأن كل منها يقع فيها المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة.

وفي وصف خطابه وبلاغة بيانه قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان كلام النبي ﷺ فصلاً، يفهمه كل من سمعه» (٤)

وفي رواية أخرى قالت رضي الله عنها: «إنما كان رسول الله ﷺ يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه» (٥) وفي رواية عنها: «ما كان رسول الله ﷺ يسرد سردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه» (٦)

وهناك أمور تنافي الفصاحة وعيوب ينبغي للخطيب أن يتجنبها :

أ- التشدق والتكلف وإظهار المقدرة الخطابية تصنعاً، إما جدالاً في الباطل وهذا مما ينافي الفصاحة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ ۗ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ البقرة: ٢٠٤، وإما على وجه الرياء، كما في قول الله تعالى في وصف المنافقين: ﴿ وَإِذَا

(١) التعريفات للمناوي ١٤٨/٢.

(٢) رواه البخاري / باب قول النبي ﷺ " نصرت بالرعب / رقم (٢٩٧٧) ٥٤/٤ عن أبي هريرة ؓ.

(٣) رواه البخاري / باب رؤيا الليل / رقم (٦٩٩٨) ٣٣/٩ عن أبي هريرة ؓ.

(٤) رواه أبو داود أ باب المهدي في الكلام / رقم(٤٨٣٩) ٤/٢٦١.

(٥) رواه البخاري / باب صفة النبي ﷺ / رقم(٣٥٦٧) ٤/١٩٠.

(٦) رواه الترمذي / باب في كلام النبي ﷺ / رقم(٣٦٣٩) ٥/٦٠٠.

رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ﴿المنافقون: ٤ .

وفي حديث النبي ﷺ: "إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاق ، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة ، الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون " (١) والمتشدد: هو المتطاول على الناس في الكلام، وقيل: الذي يتكلم من طرف شذقه تكبراً وتطاولاً، وقوله: (المتفيهقون) أي: المتكبرون.

ب- الوقوع في اللحن: ينبغي للخطيب أن يعتني عناية تامة باللغة العربية صرفاً ونحواً ، فيتكلم بلغة عربية صحيحة فصيحة ، وإذا أعياه الأمر فليقرأ خطبته على من يصحح له عباراتها ، ويضبط كلماتها ، وقد خافه كبار الخطباء والبلغاء والخلفاء، قال الأصمعي: قيل لعبد الملك بن مروان: أسرع إليك الشيب! فقال: وكيف لا وأنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين، وقيل له أسرع إليك الشيب! قال: وتنسى ارتقاء المنبر ومخافة اللحن!

ومن الحكمة أن يقيم الخطيب المتدرب نفسه وفق معايير الفصاحة السابق ذكرها، وأن يوقفه الأستاذ المدرب على عيوبه في النطق، وفي مخارج الحروف، وفي الأخطاء اللغوية والبلاغية، وفي الوقوع اللحن أو خلوه منه، وفي طريقة الأداء، كي تصقل ملكته الخطابية وتنجم مهارته البيانية.

٣ - سرعة البديهة:

هو وصف لازم للخطيب البارع، لأن الخطيب إنما هو بمثابة المعلم الموجه، ومن مقومات ذلك سعة الإدراك وسرعة الفهم وإصابة التأويل، وقد يُقَطَّع أو يعارض أثناء الخطبة أو بعدها، فإذا لم يحسن الرد ولم يتقن المحاجة في حسم وإقناع، فقد مكانته وفقد مع ذلك عامل التأثير.

والبديهة والبديهي: هو الذي لا يتوقف حصوله على نظر وكسب، سواء احتاج إلى شيء آخر من حدس أو تجربة أو غير ذلك أو لم يحتج.. (٢)

فكأن سرعة البديهة موهبة تبرز في الإنسان دقة الفهم وسرعته.

ومن البديهة: النباهة والذكاء والفتنة والكياسة واللباقة وكلها ألفاظ مترادفة متقاربة، وهي من معاني الإنسانية ولوازمها فالإنسان مخلوق ذكي، وهذا هو الأصل فيه، ولا يعتريه الخبل أو الحمق أو البلادة إلا لعوامل، وتزول هذه العوارض بزوال مسبباتها، وقد ذهب أمثال علماء التفسير إلى أن قوله تعالى:

(١) رواه أحمد / رقم (١٧٧٣٢) ٢٦٧/٢٩ عن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه .

(٢) التعريفات للجرجاني ص ٦٣ .

﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ الإنسان: ١ معنى قوله : " لم يكن شيئاً مذكوراً " لم يكن شيئاً له نباهة ولا رفعة ولا شرف إنما كان طيناً لازباً وحماً مسنوناً. (١)

وما من ريب أن أذكى الأذكياء هو النبي ﷺ ، فقد جمع الله له كل خصائص الفهم والفتنة والإدراك التي تفرقت في آحاد الناس، وفوق ذلك أكرمه الله تعالى واصطفاه بمقام النبوة، وقد عد ابن حجر " ٤٦ " وجهاً لفتنته وفهمه وقوة بصيرته ﷺ .

٤- الحماس وحرارة العاطفة :

ويقصد بها : الانفعال المحمود، وهو تعبير لاشعوري عن قوة الخطيب الوجدانية وإيمانه بالفكرة التي يدعو إليها وصدق لهجته، وفي حديث جابر رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صباحكم ومساءكم، ويقول: بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن إصبعيه السبابة والوسطى ويقول: « أما بعد: فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة» (٢)

قال النووي رحمه الله: " يستدل به على أن الخطيب يستحب له أن يفخم أمر الخطبة ويرفع صوته ويجزل كلامه، ويكون مطبقاً للفعل الذي يتكلم فيه من ترغيب أو تهيب، ولعل اشتداد غضبه كان عند إنذاره أمراً عظيماً وتحديده خطباً جسيماً" . (٣)

وانفعال الخطيب إنما ينبغي أن يكون منبعثاً من قوة إيمانه وصدق لهجته وتمام إخلاصه، وما يخرج من القلب يلج القلب، وكما قالوا في تأثير الخطيب وبلوغه إلى مكامن القلوب: إن النائحة الثكلى ليست كالمستأجرة! فالخطيب الصادق المخلص يظهر صدقه في نبرات صوته وحمرة عينيه ونور وجهه، وجديته وصرامته. وتلك أمور يعرفها الحذاق المتمرسون من الخطباء والبلغاء.

٥- رباطة الجأش (ثبات الجنان) :

الخطابة في حقيقتها تعبير عن خلجات النفس وأحاسيسها ومشاعرها، والناس يتفاوتون في إبداء ذلك وإخفائه، بحسب مواهبهم الخطابية ومداركهم العقلية ومشاعرهم الوجدانية، فأقواهم عارضة أكثرهم بلاغة وأقدرهم على التعبير الصادق المؤثر، ولذا قيل: أصل الخطابة الطبع ، والخطيب البارع هو من يخطب في

(١) جامع البيان للطبري ١٢٦/٢٩ .

(٢) رواه مسلم/ باب تخفيف الصلاة / رقم (٨٦٧) ٥٩٢/٢ .

(٣) المنهاج ٤٠٣/٦ .

يسر وسلاسة وتمهل، فلا يجد عناء ولا تكلفاً ولا مشقة، وهذا لازم كي يكون الخطيب لبقاً ذا سطوة، والاستعداد النفسي يرتبط بالموهبة الفكرية والملكة اللسانية وقوة المنطق وحلاوته، أما الإلقاء السريع قد يفقد المتابعة كما أنه قد يشوه إخراج الحروف فيختلط بعضها ببعض، وتتداخل وتلتبس العبارات، وقد يؤدي التعجل إلى إهمال الوقوف عند المقاطع ورعاية الفواصل، وهذا التمهّل لا يتحقق إلا بأمرين:

أولهما: ترك الاستعانة: وهي إما قولية كالإكثار من قوله: (يعني) أو (اسمعوا) أو (أفهمتم) أو (أسمعتم) ونحو ذلك مما هو معيب ممجوج، وإما فعلية: كالعبث باللحية أو الشعر وغيره، وفرقة الأصابع، أو الإكثار من التنحج بغير حاجة..

الأمر الثاني: الخلو من مظاهر الحصر والعي، وهي كثيرة منها: تصبب العرق أثناء الخطاب، وبرودة الأطراف، وجفاف الحلق، وسرعة ضربات القلب، أو الخفقان، وبحة الصوت. والحصر كما يقول علماء النفس: أمر طبيعي في الأغلب فلا يرهبن منه الخطيب المبتدئ، إذ يعرض لجل الناس ولا يمكن إلا ثوان ثم يزول مع مواصلة الخطابة، وإنما يصاب به من الناس من يميلون بالطبع إلى الانعزال والانطواء والتفوق حول ذواتهم.

وعلاج الحصر والعي يكمن في ثلاثة أمور:

أولها: أن يتسم الخطيب بروح المشاركة والمداعبة، ويحاول جاهداً مغالبة طبعه الانطوائي، وكثير من الطباع تتغير وتتحوّل بمغالبة النفس المستمرة وبقوة الإرادة والعزيمة، فلا يترك مجالاً اجتماعياً إلا ويضرب فيه بسهم حتى يزول الحاجز النفسي الوهمي بينه وبين الناس، فإن النفس تجنح إلى الإلف والعادة، فإذا تعودت الحديث والمرح اعتادته، وإذا عودت الصمت الدائم والصرامة في كل الأحوال اعتادتها أيضاً.

الثاني: الممارسة والتدرب والمران، فإن المرء لا يولد خطيباً، وإنما تولد معه موهبة الخطابة، وعليه استحاثها وصقلها وتنميتها بكثرة الممارسة والتدرب والتجربة، ومع التدرب لا بد من التقويم، وقد يتعثر الخطيب في بداية حياته الخطابية وتكون له كبوة وكبوة، ثم ومع الأيام يتمرس ويتعود ويشد عوده وتقوى عارضته وينصع بيانه ويجل كلامه، فيصبح مع الأيام خطيباً مفوهاً لا يشق له غبار، ولا يكتشف له عوار!

الثالث: وهو من أبحح العلاج وأنجعه، إنها مداومة ذكر الله ﷻ واستغفاره ﷻ قال ﷻ: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ الرعد: ٢٨ .

وفيما يأتي بعض نصائح لكل خطيب ومحاور ومتحدث ومحاضر.. على اختلاف أنواع الأنماط البيانية.

وهذه النصائح من شأنها تحقق الثقة بالذات وتتلخص في الآتي:

١- وجّه بصرك مباشرة نحو الأشخاص الذين تتحدث إليهم، وخفف من لهجة حديثك إذا شعرت بتوتر حتى تبدو هادئاً.

٢- تنفس باطمئنان، فالتنفس السليم يلعب دوراً هاماً في الاحتفاظ بالطمأنينة ويمكنك لبضع لحظات أخذ نفس عبر أنفك على نحو بطيء تشعر معها بانتفاخ بطنك تدريجياً، ثم أطلق زفرة ببطء بحيث تشعر معه هبوط بطنك على نحو تدريجي يمكنك القيام بهذا التمرين لدقيقتين يومياً يمكنك معه التحكم في تنفسك تحت أي ظرف.

٣- احتفظ بوضع جلوس سليم، بحيث يكون الجلوس بصورة فيها استقامة الظهر من غير انحناء ولا استرخاء، وأما الجلوس بوضع سيئ فإنه يشكل علامة من علامات تدني احترام الذات فضلاً عما يسببه من تعب وآلام الظهر.

٤- لا تقارن ذاتك بالآخرين، لأن كل شخص يتميز بمهارات ومواهب مختلفة عن تلك التي يتسم بها الآخرون، فإذا كرس المرء اهتماماً بالغاً بما يفعله أو ينجزه الآخرون فإنه سوف يفقد الإحساس بذاته.

٥- لا ينبغي أن تشعر بالإحباط لمجرد الوقوع في خطأ أو الإخفاق في إنجاز مهمة، فهناك أشياء عظيمة يمكن تحقيقها مستقبلاً، وتجنب دوماً الإفراط في نقد الذات ومحاسبتها كي لا يكون الإفراط في نقد الذات عاملاً للانتكاس، واحرص على الاستفادة من الدروس التي تعلمتها من أخطائك ومن ثم تطلع إلى المستقبل بروح إيجابية.

٦- هبّ نفسك لتحقيق النجاح بالإعداد الجيد لما تصبو إليه من درس أو محاضرة أو خطبة وبالإطلاع الواسع في موضوعه، وبإحسان الهيئة والمظهر لأن ذلك سيشعر الآخرين بأنك جدير بما تطمح إليه.

٧- لا تبالغ في الاهتمام بآراء الآخرين، وتذكر دوماً أنه ليس هناك شخص كامل، فلكل هفواته وزلاته، والمهم الأخذ بالصحيح والإشادة به وفي المقابل نبذ ما ليس كذلك.

ثانياً: صفات الخطيب الأخلاقية المكتسبة :

لا حرم أن الخطابة أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ﷻ ، وهي الأسلوب المباشر الذي يخاطب العقول والضمائر ويحرك الوجدان والمشاعر، وتتلقاه الأسماع والأبصار، في آن واحد معاً، فالخطابة على هذا من أمثل أساليب الدعوة إلى الله، ومن أهم المعايير التحويلية التي هي مقياس لمعرفة براعة الخطيب ومدى قدرته على التأثير بالكلمة:

١- **الإخلاص:** فهو بيت القصيد، ولقد فاز المخلصون بسعادة الأبد في الدار الآخرة كما حازوا القبول في الدنيا، فمن خطب الناس ولم يكن همهم السمعة ولا الرياء ولا أن يقال فلان خطيب بارع وخطيب مفوه، ثم لم يكن ليبغى عرضاً زائلاً ولا حطاماً فانياً، كان إن شاء الله من أهل الإخلاص، وما أجل البغية التي يسعى إليها المخلصون من الخطباء والوعاظ والمصلحين! إنها ابتغاء وجه الله، قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

ولقد كان السلف شديدي الحرص على تحقيق الإخلاص قبل الخطبة أو الموعظة وأثناءها وبعدها بحاسبة النفس وتفقدتها.

والإخلاص أمر غيبي لأنه من أعمال القلوب ولا يعرف ما في القلوب إلا الله ﷻ، ومن ثم فإن هذا المعيار معيار افتراضي، ولا مندوحة من ذكره في سلسلة المعايير التي يتم بها تقويم الخطيب، وما من ريب في أن الإخلاص تظهر أماراته في أقوال الخطيب وتصرفاته ومواقفه ولا يخفى ذلك إذ يظهر في ثنايا كلامه.

٢- العلم:

وهو المعبر عنه بسعة الاطلاع، وسعة علم الخطيب وكثرة اطلاعه ومعرفته بدقائق موضوع خطبته هي الذخيرة والمادة التي يصوغها ويعرضها وتظهر في ذلك براعته، وقد يبتدئ بالخطابة من ليس يتصف بعلو الكعب في الإطلاع على المعارف قديمها وحديثها ومن ليس من أهل الحدق في هذا المضمار.. وقد يكون خطأه أكثر من صوابه، وقد يكون العكس، لكنه لا يضطلع بمهام الخطابة على الوجه المنشود إلا من اتسعت دائرة معارفه.

والعلم علمان شرعي ومدني، فالعلم الشرعي: يعتمد على الكتاب والسنة وفهم السلف لهما، وهذا العلم هو المراد إذا أطلق، والعلم الشرعي مادة الخطيب العلمية وعماده بعد الله تعالى، وينبغي أن يتضلع منه

(١) رواه البخاري/ كتاب الأيمان والنذور / باب النبوة في اليمين / رقم (٦٦٨٩) (١٤٠/٨).

ويتمكن قبل أن يعتلي المنبر! فإن الخطيب بمنزلة المعلم والمرشد فإذا لم يف بمسالك هذا العلم الشريف لم يتقن صنعة الخطابة الوعظية، وربما كان خطأه أكثر من صوابه، ولم ينزل الشرع بدقائقه وتفصيله إلا لبيّنه النبي ﷺ للناس فيعوه حق الوعي ويستمسكوا به، قال تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴾ النحل: ٤٤، فإذا كان الخطيب جهولاً بمعطيات النص الشرعي، عاجزاً عن استثماره واستخراج دلالاته واستيعاب مقاصده ومراميه، أفسد ما يبتغي إصلاحه، وقد ورد على لسان الشرع التحذير من القول على الله بغير علم قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تُمَّ وَالْبَغْيَ بغيرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴾ الأعراف: ٣٣ .

وأما العلم المدني فعماده التحريم والدليل العلمي، ولا بد أن يأخذ الخطيب من كل علم من العلوم المدنية والكونية بطرف! وقد تنوعت العلوم المدنية اليوم وانتشرت فعصرنا عصر الثورة العلمية كما يقول المثقفون، والعلوم التخصصية المتاحة كثيرة كالتطب بفروعه المتعددة، والزراعة، والهندسة بأنواعها، والفلك، والكونيات، والعلوم الإنسانية، وغيرها كثير..

٣- الصدق في القول والعمل والقصد: وحسبنا دلالة على فضل الصدق وأهميته ورفعته أنه حلية أهل الإيمان والتقوى، وأن ضده الكذب سمى أهل النفاق والشقاق!

إن للصدق تأثيراً عجبياً في سلوك الإنسان وسمته وهديه! وإنك لتكاد تعرف الخطيب أو الواعظ الصادق من غيره، وقد قال قديماً أحد أبناء الوعاظ: يا أبت إن فلاناً من الوعاظ أعلم منك، لكنه لا يصل إلى القلوب كما تصل؟ فقال يا بني ليست النائحة الشكل كالمستأجرة!

وصدق العمل هو بيت القصيد، فالكلام كثير والمواعظ أكثر، والناس في عصرنا لا يحتاجون إلى الخطب الرنانة والمواعظ الطنانة بقدر ما يحتاجونه من العمل الصادق والقُدوة الحسنة والامثال الحية، ووفي التنزيل الحكيم: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَمْ يَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿ الصف: ٢ - ٣ .

ومن السنة: قوله ﷺ: «يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتية، وأنهاكم عن المنكر وآتية»^(١)

(١) صحيح البخاري / كتاب بدء الخلق / باب صفة النار / رقم (٣٢٦٧) (٤/١٢١).

وفيما تقدم الوعيد الشديد لمن خالف قوله فعله، وتناقضت علانيته وسره، والخطباء والوعاظ والمربون هم أولى الناس بالصدق في الالتزام بما يقولون ويعظون ويدرسون.

٤- حسن المظهر: لا شك أن هيئة الخطيب لها في نفس المستمع بعض الأثر، فلا بد للخطيب أن يتهياً تهيئاً حسناً بما يليق ومقام الخطبة، فيرتدي أجود ثيابه، ويراعي الصفات الشكلية التي تحيط به والتي لها تأثير في انتباه المستمع واحترامه وتقديره له، لأن المستمع الحاضر ينظر ويسمع ويحس بالجمال أو القبح، وبالسمت الحسن أو الاستهجان المنبوذ، وفي هذا حديث أبي الأحوص عن أبيه قال: «أتيت النبي ﷺ في ثوب دون فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: من أي المال؟ قلت: قد آتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: فإذا آتاك الله مالاً فليمر أثر نعمته عليك وكرامته»^(١) وفي حديث ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: "إن الله جميل يحب الجمال" ^(٢)

وفي حديث البراء ﷺ قال: «ما رأيت أحداً أحسن في حلة حمراء من النبي ﷺ»^(٣)

وفي حديث أبي رمثة ﷺ قال: «رأيت النبي ﷺ يخطب وعليه بردان أخضران»^(٤).

لهذا وجب على الخطيب أن يراعي ذلك إذا كان في استطاعته، أما ما ليس في استطاعته كالطول والقصر والدمامة والبياض والسواد، فإنه لا بد وأن يجبره بمنطق وعلم وحسن حديث وجميل تصرف، فمن تطابق قوله وفعله، وتناسب سمته وهيئته، صار له من القبول في القلوب بقدر إخلاصه وصدقه، ورفع الله ﷻ بذلك درجات في الدنيا والآخرة. قال ابن قدامة: ويستحب أن يكون في خطبته متخشعاً متعظاً بما يعظ الناس به، لأنه قد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُفْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضٍ مِنْ نَارٍ. قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ»^(٥)

٥- قوة الذاكرة: يحتاج الخطيب إلى حسن الذاكرة ليتمكن من أداء رسالته، ذلك لأن الذاكرة

(١) رواه أبو داود في سننه رقم (٤٠٦٣) (٥١/٤)، والنسائي في سننه رقم (٥٢٢٣) (١٨٠/٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه / باب تحريم الكبر / رقم (١٤٧) (٩٣/١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه / باب الجعد / رقم (٥٩٠١) (١٦١/٧).

(٤) رواه النسائي في سننه / باب التزين للخطبة / رقم (١٥٧٢) (١٨٥/٣)، والترمذي في سننه / باب ما جاء في الثوب الأخضر / رقم (٢٨١٢) (١١٩/٥).

(٥) رواه أحمد في مسنده رقم (١٢٢١١) (٢٤٤/١٩).

الضعيفة تنسى كثيراً من المعارف ، لأن المرء قد يكون مثقفاً غزير المادة العلمية ، واسع الاطلاع ، ومع ذلك إذا صادفه موقف حساس إرتج عقله ، وخانته ذاكرته ، وقديماً قالوا: "إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه " .

والقلب المحافظ لا يكون إلا من ذاكرة حسنة ، وبديهة حاضرة .

ومع أن قوة الذاكرة هبة إلهية فإننا مطالبون بالأخذ بالأسباب ، وقد درس العلماء طرق تحسين الذاكرة وحصرها في ثلاثة وهي :

أ) **التركيز**: يجب على من يريد تحسين ذاكرته أن يركز على المطلوب عند قراءته ، حتى لا يتفلت منه ويضيع ، ويكون التركيز باستحضار المعنى ، وترتيب الأفكار حسب ورودها في الألفاظ ، وحجدا لو ارتبطت هذه الأفكار بصورة حية في النفس ، ويكون التركيز أيضاً بالقراءة بصوت مرتفع حيث تشترك حاستان في التقاط المعنى ، إن اللسان والأذن في هذه الحالة يمدان العقل بالمعاني وهذا يؤدي إلى تحسين الذاكرة ، ويأتي التركيز كذلك بتسجيل ما يقرأ كتابة ، لأن العقول تعتمد على رؤية المكتوب أكبر من المسموع ٢٥ مرة ، فمن الممكن أن تنسى اسم الشخص في وقت تحافظ فيه على تذكر صورته ، ويأتي التركيز أيضاً بإبعاد كافة المعوقات الحسية وقت القراءة ، لأنها تصرف بعض الفكر إليها ، إن دقائق بسيطة من التركيز العقلي تأتي بنتائج أعظم من التفكير الذاهل الموزع لمدة أيام عديدة .

ب) **التكرار**: هذا هو القانون الطبيعي الثاني لقوة الذاكرة ن وهو قانون مضمون النتيجة؛ لأنه يمكن الكثيرين من حفظ النصوص الطويلة ، ويجب ألا يكون التكرار آلياً ، بل يجب أن يكون ذاكياً ، بمعنى أن يستمر التكرار مدة طويلة على فترات متقطعة ، لأن العقل الباطن يكون مشغولاً بين فترتي التكرار بتكوين ترابطات أكثر ضمناً ، ولأن العقل حينما يقوم بعمله على فترات لا يرهقه التعب المتواصل .

ج) **الترابط**: يستطيع الخطيب أن يتذكر نقاط موضوعه ويربطها بشيء موجود في العقل ، أو يربط بعضها ببعض حتى يسهل إيرادها وقت الإلقاء .
وهكذا يجب على الخطيب أن يحسن ذاكرته ليتمكن من النجاح في مهمته .

٦-**الثقة بالنفس**: كثير من الناس حينما يكلفون بالخطابة يشعرون بأنهم حملوا أمراً فوق طاقتهم ، ويضمون إلى هذا الإحساس عجزاً واضحاً حين إلقاء الخطبة ، حيث يصابون بالاختلال العصبي ، فيحمر لوتهم ، ويبلهم العرق ، ويصيبهم فزع شديد .

إن حالة الخوف هذه يجب مطاردتها بحب الخطبة ، لأن الحب الكامل لها يدفع الخوف كله ، ويؤدي إلى ثقة الخطيب بنفسه ، وهذا الحب لا يتم إلا بعد إعداد الخطبة إعداداً جيداً ، لأن الإعداد تسعة أعشار

الإلقاء في صنع الثقة ، وما يدفع إلى تحقيق الثقة المطلوبة إيمان الخطيب بدعوته، لأنه يخطب حينئذ في أمر يهمه شخصياً ، يقول عامر بن عبد القيس : " الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب " .

٧- المشاركة الوجدانية: وهي صفة هامة في الخطيب تجعله يعيش حياة الناس ، يشعر بشعورهم ، وينفعل مع آرائهم ، ويتداخل في تقاليدهم وكافة شؤونهم ، بصدق وفهم وتحليل ، ويجب أن تأخذ هذه الصفة عنده شكلاً عاماً بمعنى تواجدها تلقائياً مع الجميع بلا تفرقة بين غني وفقير ، أو رئيس ومرؤوس ، ورفيع ووضيع ، لكي يصل إلى الجميع .

فالمشاركة الوجدانية هي الرباط الحريري الذي يوصل القلب بالقلب ، ويربط العقل بالعقل ، وبالجسم وبالروح ، وهي التي تنشيء كل التصرفات والسلوك ، وتأثيرها في الحياة الاجتماعية مؤكد بسبب خلوها من الزيف والتصنع ، وبما ينتظر الناس الخطيب ويقدمونه عليهم ، فيأخذون رأيه وينهجون نهجه ، ويجعلونه رائدهم .

والخطيب المسلم يطبق أشكال هذه الصفة عن اقتناع بها ؛ لأنها أوامر دينه إليه وسيرة رسوله ﷺ .

ثقافة الخطيب :

أولاً: القرآن الكريم وتفسيره :

لا بد للخطيب من الاطلاع على الثقافات المختلفة وأولها القرآن الكريم كلام الله تعالى ووحيه غير مشوب بأوهام البشر ولا بأهوائهم ، مبرأ من التحريف والتبديل { إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ } (٩) سورة الحجر ، ومنزه عن النقص والقصور فهو إذن الخير الخالص والنور الصافي ليس لجبريل منه إلا النقل ولا لمحمد منه إلا التلقي والتبليغ { وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ } (١٩٢) { نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ } (١٩٣) { عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ } (١٩٤) { بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } فالقرآن الكريم يحمل العلم الهی والحكمة الربانية والقدرة الأزلية المتصفة بالكمال والجلال والمنعوتة بالتوفيق والهداية والمنزهة عن كل قصور ونقص .

واجب الخطيب نحوه:

واجب الخطيب أن يجيد حفظ القرآن ويحسن تلاوته وتجويده ، فإذا لم يستطع أن يحفظه كله حفظ بعضه فإذا لم يستطع داوم على قراءته واستحضر الاستشهاد به كما يجب عليه أن يدرس تفسيره ويتدبر آياته ويقف على أسباب نزوله ويتعرف على أحكامه ، ويستبصر أوامره ونواهيه .

وقفه مع التفاسير :

يستحسن أن لا يقتصر الداعية على تفسير واحد ، فكل تفسير فيه ناحية من نواحي العلم ، وفيه فتح معين من الفتوحات الإلهية التي يعطيها الله صاحب النظر المخلص في كتابه فهناك تفاسير تميل إلى تفسير القرآن بالقرآن وهناك تفاسير تنحج إلى التفسير بالمأثور ، وهناك تفاسير أخرى تميل إلى التفسير بالرأي .

نصائح للداعية أمام التفاسير :

ومما ينبغي أن يلفت إليه الداعية في هذه التفاسير ما يلي :

- ١- الاهتمام في هذه التفاسير بالنواحي العملية لا الجدلية أو الكلامية فكل أمر ينجح إليه المفسر لا يبنى عليه عمل فهو من الأمور التي نهيينا عنها شرعاً ، فقد يكون الجدال للوصول إلى الحق في مسألة تم المسلمون وتدفعهم إلى العمل بما يصلحهم ويسعدهم ويرفع شأنهم ، وهذا شيء محبوب ، لكن قد يكون الجدال في أمور فرعية ، وكل يستند فيها إلى دليل ، والتعصب فيها يؤدي إلى فرقة المسلمين وذهاب ريحهم وضعف وحدتهم ولفتهم عن العمل الجاد ، فهذا ينبغي أن توضع له حدود وضوابط حتى لا يؤدي إلى عكس المطلوب ويفسد الود بين المسلمين.
- ٢- الابتعاد عن الاسرائيليات - أرادت اليهود بما لها من دهاء أن تفسد على المسلمين دينهم ، فعمدت إلى سلاح الدس والتحريف - وهذه صنعتهم من قديم ورثوها كابراً عن كابر - فألقت اسرائيليات مختلفة وفسادة في غفلة من المسلمين فصادفت بعض الأغرار فملئوا بما كتبهم على أنها من علم أهل الكتاب .
- ٣- الحذر من الآراء الشاذة والروايات الضعيفة واتقاء الواهي من الأقوال الشاردة والتأويلات المتهافئة التي تنسب إلى بعض الصحابة أو التابعين وليس لها سند صحيح .

السنة المطهرة :

وهي المصدر الثاني للداعية بعد القرآن الكريم وهي شارحة القرآن ومبينة له ومفصلة لما أجمل منه ، كما إنها قصة كفاح وخلاصة تجارب لأعظم داعية وأكرم عقل في الوجود ، كما إنها نفحات قدسية وتوجيهات ربانية وتجليات إلهية لفهم القرآن وتوجيهه في الحياة ليعمل عمله في آلاء الكون وسنن الاجتماع وعلل النفوس ومشكلات الحياة وضروب الإصلاح وسياسة الأمم ورسم الطريق المستقيم .

ولهذا كانت السنة زادا لا ينفذ من العطاء الغامر والفيوضات الكريمة التي يحتاجها كل مسلم وينتفع بها كل بشر في هذا العالم المضطرب المائج بالأهواء والفتن والحروب والاحن .

والسنة والحمد لله مدونة ومحفوظة ومحصنة قام على صيانتها رجال الأمة الإسلامية من العلماء الفاضل وأودعوها اسفاراً كثيرة ومجلدات متعددة ، ولكن ينبغي للخطيب الداعية أن ينتقي منها الأهم مثل الكتب الستة ،، وموطأ مالك ومسنن الدرامي ومسنن أحمد .

كتب السيرة النبوية :

أما عن كتب السيرة والنبوية فهي كثيرة ويجب على الداعية دراستها وبخاصة التركيز على الناحية العملية منها والتركيز كذلك على المثل والقُدوة والخطوات والخطوة التي انتهجت من قبل رسول الله ﷺ في كيفية تبليغ الدعوة إلى الله تعالى في وسط الناس كلهم ، على اختلاف مشاربهم وعاداتهم وأفهامهم ، وكيف كان الرسول ﷺ يتبع الأسباب ويسير حسب قوانين الله سبحانه في الكون، ويعد لكل شيء عدته، وكيف كان الرسول ﷺ يجسم الإسلام واقعا عمليا معاشا ، وتطبيقا فعليا ملموسا لا شعارات وأحلاماً تراود الافهام والأفكار ، كما نجد جيلا وأمة صنعها الإسلام تسير بالمثل وتتحرك بالتعاليم وترفع لواء الحق وتنادي به في غير عنت أو إرهاب أو تعسير أو مشقة أو انزال على الحياة وعن نعيمها وما فيها وقد أقام الرسول ﷺ بهذه التعاليم وهذه الرسالة دولة على أفضل نظام ووفق منهاج وحصنها بالقوة والعزة ورفع لواءها بجند الرحمن وكتيبه الإيمان.

توجيهات إلى الخطباء والدعاة في دراسة السنة والاستشهاد بها:

١- الحذر من الأحاديث الواهية والمنكرة والموضوعة وكتب الصحاح كثيرة وكتب التخريج مطبوعة الآن ومحققة فيجب على الداعية أن يكون عنده دربه بما.

وليتق الداعية المشاركة في الكذب على رسول الله ﷺ وإدخال في الدين ما ليس منه بروايته للموضوعات أو الضعاف . لقوله رسول الله ﷺ " من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار". **وليحرص الداعية أو الخطيب أن يتبع ما يلي :**

١- يلجأ إلى كتب الأحاديث الصحيحة كالبخاري ومسلم ويأخذ منها أو إلى الكتب التي خرجت وحكم فيها على صحة الحديث أو ضعفه والموثوق بها ، ويأخذ منها الصحيح ويدع ما فيه مقال ، حتى يسلم ويغتم.

٢- تجنب الأحاديث التي لا تعيها عقول جمهور الناس لغير ضرورة ينبغي على الداعية الخطيب أن يعني بالأحاديث التي لها صلة بواقع الناس ومقتضى حالهم ، وتبحري البعد عن المتشابهات والمشكلات وما لا تبلغه عقول عامة الناس إذا كان الحديث معهم. أخرج البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : " حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟

وأخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : " ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة "

٣- لا بد من وضع الأحاديث في موضعها وفهمها على وجهها الصحيح وبعض الأحاديث لا تفهم منفردة أو لا تفهم بعيدا عن أصول الإسلام العامة وتعاليمه.

وقد يوهم ظاهر بعض الأحاديث شيئاً معيناً عند بعض الناس غير الدارسين للإسلام والعالمين بأحكامه ومبادئه . فينبغي الانتباه لهذه الأمور والتدقيق فيها.

الداعية والأحكام الفقهية :

ينبغي على الداعية أن يتصل بالعلوم الفقهية وأن يدرس الأحكام الإسلامية بأدلتها من كتب الفقهاء حتى يستطيع الداعية الإسلامي أن يرد الشبه والبدع والمنكر ، وأن يأمر بالصواب ويتعد عن الخطأ، ولا يأمر بمعروف أو ينهى عن منكر إلا بأمر يعلمه حق العلم ويعرف وجوهه المختلفة وآراءه المتعددة.

موقف الداعية أمام الملل والنحل :

العالم مليء بالأهوال والشهوات ومفعم بالأحقاد والأضغان والمظالم، ولهذا فالمذاهب والنحل والملل والصيحات، تجري فيه جريان الماء وتسري فيه سريان الهواء، وكثير منها تحمل أدرانهم وأمراضهم. لا بد للداعية الخطيب أن يكون على دراية وعلم بمذاهب الدجالين والسحرة، وأن يكون خبيراً بخدع المشعوذين والكهنة من أرباب الملل والنحل والضلالة فيكشف ضلالهم ويعري بمتانهم ويجلي أطماعهم ويقذف بالحق عليها فيدمغها، ويطلع شمس الحقيقة الزاهية الواضحة فتبدد ظلام الجهالة ودياجير الضلالات.

دراسة علوم اللغة :

يجب على الخطيب أن يدرس علوم اللغة درساً جيداً يحول بينه وبين اللحن والخطأ وعلوم اللغة كثيرة ومتعددة بعضها يتعلق بالتراكيب اللفظية وطرق تحسينها وبعضها يرجع إلى قواعد اللغة ومنتها ، والمراد أن يأخذ الخطيب منها قدرماً يجعله على بينه من صحة لفظه وفصاحته وقوة تأثيره كما يستحب أن يداوم الداعية الخطيب الاطلاع على التراث العربي الأدبي من خطابة وشعر ومساجلات ومحاورات ، حتى يكون صاحب ثروة لغوية تفيد في سهولة التعبير وحسن التصرف وإيضاح المعنى وقوة التأثير في المستمعين.

دراسة العلوم الإنسانية:

نقصد بالعلوم الإنسانية العلوم التي لها صلة بالإنسان والمجتمع الذي يكون من حوله والذي يعيش فيه ويخالطه ، والواقع أن الخطيب سواء كان اجتماعياً أو سياسياً أو دينياً يجب أن يكون ملماً بكل ما له صلة بالجماعة التي يخاطبها ليعرف نواحي التأثير فيها ، والمواطن التي تكون مدخل الخطيب أو مخرجه في حديثه إليهم.

ومن تلك العلوم علم التاريخ وعلم الاجتماع ، وعلم النفس وعلم المنطق ، الذي يستطيع به الإنسان أن يدل على الجمال في مخلوقات الله وأن يميز بين الحسن والقبيح وأن يضفي صفة الجمال على كل شيء في الحياة .

فلا بد لذلك أن يكون الخطيب ملماً بكل صنف من صنوف المعارف وكل علم من علومها ، لأن كل علم له ب حياة الناس صلة له باتجاهاتهم خلطة وله بإصلاحهم أو إفسادهم علاقة .

الصفات العقلية للخطيب :

يفترض أن يكون للخطيب عقلية فذة ، صاحب فكر وهمة وثقافة عالية ، يحمل شيئاً مهماً يريد تبليغه للناس ، ثم يحملهم بما أوتي من إقناع وحجة على رأيه ، ويجركهم إلى ما يريد فلا بد إذن من أن يرجح عقله عقول من أمامه ، ويأسر لبه لبهم وتغلب حجته حجتهم ويستولي منطقته على منطقهم .

الركن الثالث من أركان علم الخطابة : المستمع

المستمع هو الهدف الرئيسي من كل ما يقدمه علم الخطابة من إرشاد وتوجيه ، ولذلك وجب على القائمين بالخطابة أن يلحظوا مستمعيهم ويتجاوبوا معهم ، وبخاصة في النواحي التالية :

أ- **نفسية المستمعين :** يتأثر الإنسان بعدد من المؤثرات بعضها فطري ، والآخر مكتسب ، ولا ينحو إنسان ما من هذه العوامل الموجهة ، فهي تلازمه وتعيش معه وتدفعه إلى سلوك معين ، بل إنها تساعد على التعامل مع كافة المواقف النفسية والاجتماعية ، وتعينه على بلوغ أهدافه، والاتجاهات الفردية صورة لاتجاه الجماعة بشكل عام ، والخطيب يمكنه معرفة اتجاه الأفراد والجماعة إذا لاحظ العوامل التي تحدث الاتجاهات العامة وتؤثر في نفس الأفراد، وهذه العوامل قد تكون في البيئة والوراثة ، والشخص ذاته، كما يمكن للخطيب التركيز على القضايا المؤثرة في المستمعين وعدم التصادم معهم ، ومن هنا يأتي اختياره لموضوع الخطبة متفقاً مع نفسية المستمع ، وبذلك يختلف الموضوع في القرية عن المدينة ، والخطبة للعمال تغاير الخطبة للمتقنين وهكذا .

ب- **عقلية المستمعين:** إن كانت الإحاطة باتجاهات نفسية الأفراد تمكن من اختيار الموضوع المناسب ، فإن الإحاطة بعقليتهم تمكن الخطيب من اختيار نوع الدليل، ومستوى الأسلوب الذي يوجه إليهم ، والناس ذو عقليات ثلاثة :

١- طائفة منهم أصحاب نفوس مشرقة ، قوية الاستعداد لإدراك المعاني ، قوية الانجذاب نحو المبادئ العالية ، مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه ، وهؤلاء أصحاب العقل الراقي في الناس ، لذلك وجب حين دعوتهم وتوجيههم ان يقد لهم الحديث اللائق بلا تكرار ولا إطناب ، ويستحسن في خطابهم أن يقوم على الحوار والجدل والقصص والأمثال ليستتجوا مع الخطيب ما يريد .

٢- وطائفة ثانية : هي عوام الناس الذين يملكون نفوساً كدرة ، ضعيفة الاستعداد للمعاني ، شديدة الإلف بالمحسوسات ، قوية التعلق بالعادات ، قاصرة عن البرهان ، وهؤلاء قوم يستأثرون بسهولة ولا عناد عندهم، وخطيب هؤلاء يجب ان يلحظ وضعهم ويخاطبوا على قدر مستواهم الذهني والعقلي .

٣- وطائفة ثالثة : معاندة مجادلة بالباطل ، تقصد دحض الحق لما غلب عليها من تقليد الأسلاف، ورسخ فيها العقائد الباطلة ن فعلى الخطيب الذي يوجه حديثه إليهم أن يتعب نفسه ، ويعرف اتجاه مستمعيه ، ولا يتصادم مع عواطفهم وتقاليدهم ، ولا ينفرهم منه ، ولكن حديثه لهم من باب ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ ﴾ آل عمران: ٦٤ . يقول عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه: " ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لم تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة"^(١) . وقال علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون أتريدون أن يكذب الله ورسوله"^(٢) .

ج- ملاحظة المناسبة : التناسب بين الشئيين أساس لتألفهما ، كذلك الأرواح «ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»^(٣) . وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن الكريم متناسباً في آيه وسوره، ومناسباً لواقع الناس ومصالحهم ، فخلد بذلك في النفوس والعقول ، لذا لزم على الخطيب أن يتناسب مع الناس ، ويعيش مناسباتهم على اختلافها، والمناسبات كثيرة منها : الوطنية ، والشخصية ، والدينية، والاجتماعية.. وتتغير الخطب بقدر تغير المناسبات ، إن الجمهور حينما يجد قولاً يتصل بيومه وحياته ينتبه إليه ، وإن فاته منه شيء سأل عنه ، إشباعاً لنفسه التي أثارها هذا المقال ، وليس معنى مراعاة الخطيب لمناسبات الجمهور ألا يوجه لهم أمراً جديداً ، لا يأمرهم ولا ينهاهم ، وإنما الذي نقصده أن يكون مع الناس في مناسباتهم ويحوّل الأمر ببراعته إلى ما يريد ، ولا يكون بعيداً عن الناس فيتخالف أو يعزل .

(١) صحيح مسلم ١١/١ (المقدمة) .

(٢) صحيح البخاري / كتاب العلم رقم (١٢٧) .

(٣) رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها .

نماذج من الخطب المؤثرة مع بيان مواقع التأثير فيها

خطبة النبي ﷺ في حجة الوداع:

"الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير، أما بعد: أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم؛ فإني لا أدري لعلني لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا. أيها الناس: إن دماءكم حرام عليكم، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد! فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وإن ربا الجاهلية موضوع، وإن أول ربا أبداً به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية، والعمد قود، وشبه العمد ما قتل بالعصا والحجر وفيه مائة بعير، فمن زاد، فهو من أهل الجاهلية. أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم، أيها الناس: إنما النسيء ٤ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلون عاماً، ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله، يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!.

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقاً، ولكم عليهن حق، لكم عليهن ألا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحداً تكروهونه بيوتكم إلا بإذنكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أنت تعضلوهن وتنجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف، وإنما النساء عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيراً، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد!.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئٍ مال إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم أشهد! فلا ترجعنَّ بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض؛ فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده، كتاب الله، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!.

أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضلٌ إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد! قالوا نعم. قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس: إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، ولا يجوز لوارثٍ وصية، ولا يجوز وصية في أكثر من الثلث، والولد للفراش وللعاهر الحجر، من ادّعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ، والسلام عليكم ورحمة الله". (١)

الشرح:

واضح أن الرسول ﷺ يلم بالحمد لله والشهادة؛ لينتقل إلى شرح الآية الكريمة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ الحجرات: ١٣، ويصوغها بأسلوبه؛ ذلك أن الحسب والنسب الجاهليين ومظهر القوة الذي ارتدت إليه القيم الجاهلية لم يعد أساس الرفعة أو الوضاعة، وإنما يرجع الأمر كله إلى تقوى الله، باعتباره دعامة الفضيلة وميزان التفاضل بين الناس. وفي كل ذلك تكمن الثورة الروحية الكبرى التي جاء بها الإسلام، فانتظمت علاقة الإنسان بالله في صورة التقوى، وبصورة التقوى نفسها تنتظم أيضاً علاقة الإنسان بأخيه الإنسان على نحو فريد، وعلى ضوء هذا تتعدد صور التقوى ممثلة في مختلف الأعمال الصالحة.

ثم انتقل الرسول ﷺ لبيان طائفة من التشريعات الإسلامية التي أقامها الدين الحنيف حدوداً بين حياة العرب في الجاهلية وحياتهم في الإسلام، فقد كانوا مفككين متنافرين يتحاربون دائماً؛ طلباً للأخذ بالثأر ونهباً للأموال.

وجمعهم الإسلام تحت لوائه في جماعة كبرى متآخية متناصرة لا يبغى بعضهما على بعضه، ولكي يقضي على كل سبب للحرب بينهم رد دم القتل إلى الدولة فهي التي تعاقب عليه، ولكي يستأصل هذا الداء دعا إلى التنازل عن حق الأخذ بالثأر القديم، وحزم النهب والسلب تحريماً قاطعاً مشدداً فيه العقوبة.

والرسول ﷺ يبين في الخطبة أوامر الإسلام ونواهيه بإعلان أن دماء المسلمين وأموالهم حرام، وأن كل من كانت عنده أمانة أن يردها على صاحبها، وأن على كل مسلم أن يرضى أخاه في ماله، فلا يأخذ منه شيئاً إلا بالحق، ومن ثم حرم الربا، وبدأ بعشيرته وتاجرها الموسر العباس عبد المطلب فأسقط عن رقاب

(١) صحيح البخاري / باب الخطبة أيام منى / رقم (١٧٣٩) (٢ / ١٧٦).

المدينين له رباها. وعلى نحو ما أسقط الربا أسقط دماء الجاهلية، فليس لمسلم أن يثأر لقتيل له، وبدأ بعشيرته فأسقط دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ولم يُيق من مآثر الجاهلية شيئاً سوى خدمة الكعبة وسقاية الحجيج، وأوجب في قتل العمدة القَوْد^(١)، ولكن الدولة هي التي تقوم به، وبذلك قضى الإسلام على حروبهم الداخلية، وقد جعل في القتل شبه العمدة مائة بعير؛ كل ذلك ليحفظ للجماعة وحدتها ويسود بين أفرادها السلام والوثام.

ويحذر الرسول ﷺ من الشيطان وغواياته، محرماً التلاعب بالأشهر الحرم، واضعاً تقويماً قمرياً يتألف من اثني عشر شهراً، منها أربعة حرم: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. ويرفع من شأن المرأة ومعنى علاقاتها بزوجها، فيجعل لها حقوقاً وعليها واجبات، وفي الطرفين جميعاً يحفظ لها كرامتها كما يحفظ لزوجها نفس الكرامة، داعياً إلى التعاطف بينهما والتراحم والتعامل برفق وإحسان.

ويعود إلى العلاقة بين الفرد وجماعته الكبرى من الأمة، فيقرر أن المؤمنين إخوة، لكل منهم على صاحبه ما للأخ على أخيه من التآزر والتعاون والتحاب، فلا بطش ولا ظلم ولا نهب، ولا حرب ولا سفك للدماء. وإنه لعهد من نقضه عاد كافراً أثماً قلبه. لقد انتهى عهد الحياة القبلية وكل ما اتصل بها من تنابذ وتفاجر، فالناس جميعاً لآدم، ولا عربي عدناني ولا عربي قحطاني، بل لا عربي ولا أعجمي، فقد وُضعت موازين جديدة لحياة العرب، فلم يعد التفاضل بالنسب والحسب، إنما أصبح بالتقوى فهي معيار التفاضل، ويلفت الرسول ﷺ سامعيه إلى ما قرره القرآن الميراث وأنصبتة، وأن للمورث أن يوصي بالثلث من ماله، ويرسي قاعدة مهمة في شرعية الأبناء، وخاصة هؤلاء الذين تلدهم العواهر، فينسبهم إلى أصحاب الفراش، وكانوا ينسبونهم إلى غير آبائهم، وقد لا ينسبونهم أبداً، فحرم ذلك تحريماً باتاً، وبذلك قضى عليه نبالة النسب من جهة الخنثولة قضاء مبرماً.

وعلى هذا النحو كان الرسول ﷺ يبين في خطابته حدود الحياة الإسلامية وما ينبغي أن يأخذ به المسلم نفسه في علاقاته الكبرى مع أفراد أمته وعلاقاته الصغرى مع أسرته..

وهذه الخطبة تصور في دقة حسن منطق الرسول ﷺ في خطابته، وأنه لم يكن يستعين فيها بسجع ولا بلفظ غريب، فقد كان يكره اللونين جميعاً من الكلام لما يدلان عليه من التكلف، وقد برأه الله منه؛ إذ

(١) القَوْدُ: القتل بالقتيل، تقول: أقدته به واستقدت الحاكم وأقدته: انتقمت منه بمثل ما أتى. العين للخليل بن أحمد

يقول في كتابه العزيز: ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ ص: ٨٦ ، والذي لا شك فيه أنه كان يبلغ بعفوه وقوة فطرته ما تنقطع دونه رقاب البلغاء.

خطبة النبي ﷺ بعد غزوة حنين وتقسيم الغنائم : مسند أحمد (٧٦/٣)

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : لَمَّا أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا أُعْطِيَ مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي فُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيَّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمْ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ : لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْمَهُ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ ، فَسَمِعْتَ فِي قَوْمِكَ ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ ، قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ ؟ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا أَنَا إِلَّا أَمْرٌ مِنْ قَوْمِي ، وَمَا أَنَا ؟ قَالَ : فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحُظِيرَةِ ، قَالَ : فَخَرَجَ سَعْدٌ ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحُظِيرَةِ ، قَالَ : فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَتَرَكَهُمْ ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ ، فَرَدَّهُمْ .

فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَنَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ : قَدْ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ ، قَالَ : فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ مَا قَالَهُ بَلَعْنِي عَنْكُمْ وَجِدْتُمْ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ ، أَمْ آتَيْتُمْ ضَلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ ؟ وَعَالَةً فَأَعَانَكُمْ اللَّهُ ؟ وَأَعْدَاءَ فَأَلْفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ؟ قَالُوا : بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرٌ وَأَفْضَلُ . قَالَ : أَلَا تُجِيبُونِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ قَالُوا : وَمِمَّاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ . قَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصَدَّقْتُمْ ، أَتَيْتَنَا مُكَذِّبًا فَصَدَّقْنَاكَ ، وَمُخَذِّلًا فَفَنَصَرْنَاكَ ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ ، وَعَائِلًا فَأَسَيْنَاكَ ، أَوْجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةِ مِنَ الدُّنْيَا ، تَأَلَّفْتُمْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا ، وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ ؟ أَفَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ فِي رِحَالِكُمْ ؟ فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا ، وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ .

قَالَ : فَبَكَى الْقَوْمُ ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ ، وَقَالُوا : رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ، ثُمَّ انصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا .

أبرز سمات خطب النبي ﷺ :

الإيجاز :

تميزت خطب النبي ﷺ بالإيجاز غير المخل ، أي الإيجاز المشتمل على المعنى بدقة ؛ فقد أوتي النبي

ﷺ جوامع الكلم ، وقد تمكن النبي ﷺ من ذلك بسبب اهتمامه بالموضوع الذي يخطب فيه ، يشغل

نفسه بإعداد خطبته ، واختيار الألفاظ المناسبة لها ؛ لأنه يعلم أن صحابته سيتداولون حديثه وسيلتزمون بمنطقه ونص كلامه ، ويعلم أن كل ما سيقوله هو شرع لأمته باقٍ على الزمن كله .

وقد كان هذا الاهتمام من النبي ﷺ يجعل كلامه وافياً بالعرض مع هذا الإيجاز المتقن الجامع للمعنى ، المشتمل على كل ما يقصده ويريده ، فقد كان النبي ﷺ يقتصد في ألفاظه ويقلل من كلامه مكتفياً بإحاطته بالمعنى ، وكان ذلك بسبب غلبة فكر النبي ﷺ في موضوعه ، وحين يلقي النبي ﷺ كلامه فإن المستمع إليه يحس وكأن ألفاظه حركات نفسية وليست حروفاً منطوقة .

وفي خطبة الوداع التي تمثل أسساً تشريعية ، أطال فيها النبي ﷺ على غير عادته حيث خطبها في الجمع الحاشد لحجاج عام الوداع ، ولذلك يسميها البعض [خطبة التشريع أو خطبة البلاغ] ومع تنوع أقسامها فإن الخطبة كانت ذات موضوع واحد .

السمو الجمالي :

تتميز الخطبة النبوية بالنزعة الجمالية الواضحة في كلماتها وألفاظها ، بل في حروف الكلمات ذاتها وفي تأثير هذه الكلمات والمعاني في النفوس وعلى الرغم من أنها كانت تبدأ بالحمدلة والتشهد إلا أن هذه البدايات كانت تتمثل في سمة رائعة وصورة أخاذة مشوقة مبهرة حيث نشاهد الأسجاع القوية المتواترة المتألفة المبدعة حتى يُخيل لمن يسمعها أنها تأخذ مكاناً وسطاً بين القرآن الكريم والنثر الأدبي الخطابي .

وإذا نظرنا إلى مقدمة خطبة الوداع لوجدنا في هذه المقدمة مع النعمة اللفظية المؤثرة ، الأداء الذي يتضمن المعاني الإنسانية العميقة بالإضافة إلى المحافظة على مقدمة الخطبة الوعظية .

ويلاحظ بدء النبي ﷺ بعض خطبه بالاستفهام كما يستعمل كثيراً من المثيرات النفسية من استفهام وتخصيص وتقريع وتذكير بنعم الله على إقرار بالزينة والفضل وكل ذلك في روعة جمالية وسمو لفظي جميل ، ويتضح ذلك جيداً في خطبته في الأنصار حين منعهم النبي ﷺ من مغانم حنين . وتعد هذه الخطبة من روائع الخطب النبوية بما ملكت من وسائل التأثير وتنوع الأسلوب وما تضمنته هذه الخطبة من مناقشة لا يخرجها عن إطار الخطبة لأن المناقشة لم تكن في موضوع الخطبة وإنما كانت بعيداً عنها .

قوة الإقناع :

تتميز الخطبة النبوية بالإقناع القوي من أقصر طريق وأيسره وكان الإقناع القوي في خطب النبي ﷺ يرجع إلى سهولة ألفاظ الخطبة ، ووضوح المعاني التي تتناولها مما يجعل المستمع إليه يتابعها ويفهمها بلا بحث في لفظ عويص أو معنى خفي ، هذا بالإضافة إلى أن السهولة في الخطبة النبوية صاحبت صدقاً حاراً وإخلاصاً قوياً وإيماناً ثابتاً بالموضوع وتفانياً مستمراً في إيصال الرسالة للناس .

توافقها مع الأصول الخطابية :

نلاحظ على خطبة النبي ﷺ أنها كانت دائماً تذكر الله في بدايتها حمداً وثناءً وتشهداً ثم تتبع ذلك بالصلاة على النبي ، وبعد المقدمة تبدأ الخطبة في ذكر الموضوع مع مراعاة تقسيم الأفكار ومراعاة ما بينها من وحدة .

ففي خطبة الوداع مثلاً يمكن أن نعتبر الموضوع الأصلي لها هو : بيان فساد العادات الجاهلية ومع التزامها بهذا الموضوع نجد أنها تورد الأفكار مرتبة ، وتنتقل من الفكرة إلى ما بعدها ؛ حيث تتحدث عن حرمة الدماء والأموال وعن أداء الأمانات إلى أصحابها ، وعن تحريم الربا وعن وضع الثأر ، وعن حكم القتل عمداً وعن دية غير العمد ، وعن النساء ما لهن وما عليهن ، وعن الأخوة الإنسانية فتتحدث عن هذه الأفكار وتنتقل بينها بتقسيم مرتب ونظام مترابط .

وإذا كانت الأصول العلمية للخطبة تفضل أن يركز الخطيب على موضوع واحد يوفيه حقه ؛ فإن النبي ﷺ بين لنا في هذه الخطبة التي هي خطبة تشريعية _ كما قلنا _ لها ظروف خاصة ، وتعرض لقضايا كثيرة كيف يمكن جمع الخطيب عند الضرورة بين جزئيات متعددة يمكن إدخالها تحت موضوع واحد ، ويمكن أن يخرج المستمع إليه بفهم واضح وسديد .

تميزها بالميزات العلمية التي يجب أن يتصف بها الخطيب :

امتاز صوت النبي ﷺ بالفخامة والإفادة ، وتلك هبة إلهية أمدده الله بها ليملك القدرة التامة في التأثير والإقناع.

وقد جمع ﷺ مزايا الخطيب الممتاز حيث كان يلامس بخطبه عقول الناس وعواطفهم ويتخير المناسبات ويتكلم فيها ، ولا يكثر منها بما يناسب قدرة أصحابه على تحملها وبذلك أرشده النطق الصحيح على الإرشاد السليم .

خطبة أبي بكر ﷺ:

عن عاصم بن عدي قال : نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفى رسول الله ﷺ ليتم بعث أسامة : ألا لا يبقين بالمدينة أحد من جند أسامة إلا خرج إلى عسكره بالجرف ، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : يا أيها الناس إنما أنا مثلكم وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيق ، إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الآفات وإنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن استقمتم فتابعوني وإن زغت فقوموني .

وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبه بمظلمة سوط فما دونها ألا وإن لي شيطاناً يعتريني فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم وأنتم تغدون وتروحون في أجل قد غيب عنكم علمه فإن استطعتم ألا يمضي هذا الأجل إلا وأنتم في عمل صالح فافعلوا ؛ ولن تستطيعوا ذلك إلا بالله

فسابقوا في مهل آجالكم من قبل أن تسلمكم آجالكم إلى انقطاع الأعمال ؛ فإن قوما نسوا آجالهم وجعلوا أعمالهم لغيرهم ؛ فإياكم أن تكونوا أمثالهم ، الجد الجد والوحا الوحا والنجاء النجاء ؛ فإن وراءكم طالبا حثيثا أجلا مره سريع احذروا الموت واعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان ولا تغبطوا الأحياء إلا بما تغبطون به الأموات .

وقام أيضا ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن الله ﷻ لا يقبل من الأعمال إلا ما أريد به وجهه فأريدوا الله بأعمالكم واعلموا أن ما أخلصتم لله من أعمالكم فطاعة أتيتموها وخطأ ظفرتكم به وضرائب أدتيموها وسلف قدمتموه من أيام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم ؛ اعتبروا عباد الله بمن مات منكم وتفكروا فيمن كان قبلكم ؛ أين كانوا أمس ؟ وأين هم اليوم أين الجبارون ؟ وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب ؟ قد تضعضع بهم الدهر وصاروا رميما ، وأين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها ؟ قد بعدوا ونسي ذكرهم وصاروا كلا شيء . ألا إن الله قد أبقى عليهم التبعات وقطع عنهم الشهوات ومضوا والأعمال أعمالهم والدنيا غيرهم وبقينا خلفا بعدهم فإن نحن اعتبرنا بهم نجونا ؛ وإن اغتررنا كنا مثلهم . أين الوضاء الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم ؟ صاروا ترابا وصار ما فرطوا فيه حسرة عليهم ؟ أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالخوائط وجعلوا فيها الأعاجيب قد تركوها لمن خلفهم فتلك مساكنهم خاوية وهم في ظلمات القبور ؟ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ؟ أين من تعرفون من أبنائكم وإخوانكم قد انتهت بهم آجالهم فوردوا على ما قدموا فحلوا عليه وأقاموا للشقوة والسعادة فيما بعد الموت ؟ ألا إن الله لا شريك له ليس بينه وبين أحد من خلقه سبب يعطيه به خيرا ولا يصرف عنه به سوءا إلا بطاعته واتباع أمره واعلموا أنكم عبيد مدينون ، وإن ما عنده لا يدرك إلا بطاعته أما أنه لا خير بخير بعده النار ولا شر بشر بعده الجنة .

أبرز سمات خطبة أبي بكر ﷺ :

اختيار الألفاظ والسجع غير المتكلف .
الكلمات المناسبة للمقام والألفاظ المناسبة للحال .
اللهجة السائدة في الخطبة لهجة التحذير والإنذار ومناسبتها للمقام .
نقل المشاعر الحماسة والعاطفة والحرارة في الحديث . حسن الاستهلال ، وإثارة الأسئلة حول الموضوع المراد .

- خطبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه

عن أبي الأسود سليمان بن يسار قال: خطب عمر رضي الله عنه الناس في زمن الرمادة فقال: (أيها الناس اتقوا الله في أنفسكم، وفيما غاب عن الناس من أمركم، فقد ابتليت بكم، وابتليت بي، فما أدري السخطة علي دونكم، أم عليكم دوني أم علي وعليكم، فهلما فلندع الله أن يرحمنا، ويصلح قلوبنا، ويرفع عنا المحل) فرئي عمر يومئذ رافعاً يديه يدعو، ودعا الناس، وبكى وبكوا ملياً ثم نزل.

وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين ولي؛ فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال: "إني قد وليت عليكم، ولولا رجائي أن أكون خيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشدكم اضطلاعاً بما ينوب من مهم أمركم، ما توليت ذلك منكم، ولكفى عمر مهماً محزناً انتظار الحساب على ما يصنع بكم ويسير به فيكم، ولم يصبح عمر ينوء بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله برحمته وعونه وتأييده، وإني معطي الحق من نفسي، وإنما أنا رجل منكم، فمن كانت له حاجة أو مظلمة أو عتب علي في خلق فليؤذني، وعليكم بتقوى الله في سركم وعلانيتكم وحرمانكم وأموالكم وأعراضكم، وأعطوا الحق من أنفسكم، فليس بيني وبين أحد هوادة".

قالوا: وقال عمر في خطبة له: "أيها الناس إنه قد اقترب منكم زمان قليل الأمان والفقهاء، كثير الأمراء والقراء، يعمل فيه أقوام بعمل الآخرة طلباً للندى التي تأكل دين صاحبها كما تأكل النار الحطب، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليصبر".

وقال عمر رضي الله عنه: "أيها الناس إنا لا نبعثكم أمراء جبارين، ولكننا نبعثكم أئمة هدى يقتدى بكم، فأدروا على المسلمين لقحتهم، ولا تضربوهم فتذلوهم، ولا تجمروهم فتفتنوهم، ولا تستأثروا عليهم فتظلموهم، ولا تجهلوا عليهم فتحرجوهم، وقاتلوا الكفار بهم طاعتهم، فإذا رأيتم بهم كلالاً فكفوهم فإنه أبلغ في جهاد عدوهم".

أبرز سمات خطبة عمر رضي الله عنه:

الكلمات المناسبة للمقام والألفاظ المناسبة للحال

اللهجة السائدة في بعض خطبه لهجة التحذير والإنذار ومناسبتها للمقام

نقل المشاعر الحماسة والعاطفة والحرارة في الحديث

إثارة الجانب العاطفي في بعض كلامه .

كانت خطبه واقعة في دائرة اهتمام الجمهور ومحل مشكلتهم

اختيار البداية المؤثرة . خاتمة الخطبة ووضع القواعد الأساسية فيها

أسلوب العرض مما يلامس شغاف قلوبهم .

نموذج تقييم الإلقاء الخطابي

اسم الطالبة الملقية:.....الرقم الجامعي:.....

الموضوع:.....

الهدف من الإلقاء الخطابي:.....

أهم النقاط الرئيسية في الخطبة:.....

.....

.....

أرجو وضع الدرجات أمام كل نقطة كالتالي: (١) ضعيف (٢) جيد جداً (٣) ممتاز

البند	النقاط	الدرجة المستحقة	ملاحظات وأمثلة على نقاط التقييم
أولاً: التخطيط للموضوع	مدى التمكن من الموضوع وعدم الارتباك		
	وضوح الهدف وحسن اختيار الموضوع		
	مخاطبة الجمهور النسائي		
	توافر جميع العناصر المهمة في الموضوع		
مجموع الدرجات في هذا البند:			
ثانياً: إعداد المحتوى	اختيار المقدمة المناسبة للموضوع		
	وضوح النقاط الرئيسية		
	استعمال الأدلة والشواهد بكثرة		
	الخاتمة المناسبة للموضوع		
مجموع الدرجات في هذا البند :			
ثالثاً : طريقة الإلقاء	حركات اليدين مناسبة وفاعلة		
	تعبيرات الوجه مناسبة وفاعلة		
	نظرات العينين موزعة جيداً		
	مناسبة الصوت وتعبير نبراته		
	الالتزام بالوقت المحدد		

مجموع الدرجات في هذا البند :			
			رابعاً: اللغة العربية وجودة النطق بها
			طريقة الأداء
			تلاوة الآيات القرآنية
			وقراءة
			قراءة الأحاديث النبوية
			الموضوع
			استخدام أساليب التشويق: التكرار والنداء والأسئلة والقسم وغيرها
			السكتات الصحيحة بين الجمل
			التمهل والتأني في الإلقاء
			الجمع بين القراءة والارتجال
عدد الدرجات في هذا البند :			

الدرجة الكاملة : ٦٠ ، المعدل: $٤ \div ٦٠ = ١٥$ درجة .

مجموع الدرجات المستحقة :

اسم معبئة نموذج التقييم:

اليوم:

التاريخ: / / ١٤٤١ هـ .

المجموعة :

الشعبة: